أئمة الحديث النبوي

الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت
☎ ٢٣٧٠٤٠ - بيروت ص.ب ٨٣٥٠٥

مقـــدمة

مـــكانة الحـــديث
فى التشريع الاســـلامى

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليـه وسلم ، وأعده اعدادا كاملا ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا ، تزكية للنفوس ، وتطهـيرا للقلوب ، وتثبيتا للعقيـدة الصحيحة ، وسيرا نحو النور فى الطريق المسـتقيم فى ميـدان العقيدة والشريعة .

فأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه « ذلك الـكتاب لا ريب فيه هـدى للمتقين » .

وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل فى نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو الدليل الخالد على صدق الرسول صـلى الله عليه وسـلم فى كل ما جاء به ، وكان المعجزة الكبرى وبه تحدى الانس والجن « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغتـه

وفصاحته وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر ، وأن الذى جـاء به انما هـو رسول رب العالمين • وجعل القرآن الاسس الـكاملة للرسالة العامة الخالدة •

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » •

وأمره الله بتبليغـه • :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القـوم الـكافرين » •

ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن ؟

واذا فهمته فهل من سبيل الى تفصيل اجماله وبيان ابهامه ؟ اذن لا بد من البيان والتفصيل والتوضيح • فأمر اللـه نبيه فى كتابه أن يبين للناس ما نزل اليهم بسنته •

قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » •

وتـكفل الله بعصمة الرسول وامداده بالوحى وعصمته عن الخطـأ والهوى فى كل ما يأتى به من قرآن وسنـة فيها بيـان للقرآن أو تشريع مستقل « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى » فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيـانه » •

ومهد له الطريق وعبده لتذليل مهمته فأمر الناس بطاعة الرسول • ونص فى قرآنه على أنها طاعة لله كما نص على أنه لا خيرة فى الأمر بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » •

قال ابن القيم : أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والحلى ، ولم يكتف فى ايمانهم بهذا التحكيم بمجرده بل حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا • أ هـ •

وقال الامام الشافعى : « [illegible] هذه الآية فيما بلغنا — والله أعلم — فى رجل خاصم الزبير فى أرض ، فقضى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير • وهذا انقضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا حكم منصوص فى القرآن • أ هـ فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله فى قرآنه باتباعه وهو بالتالى اتباع الله وقرآنه ، وهذا صريح فيما تقدم وفى قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه

وما نهـــاكم عنـــه فانتهـــوا » وأخبـــر تعـــالى : ان الرسول أوتى القرآن والحـــكمة وهما مصدر التشريع فقـــال : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحـــكمة هى السنة . وجزم بهذا الامام الشافعى لتغايرهما بالعطف وهى فى مقام المنة ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا غير السنة . « من يطع الرسول فقد اطاع اللـــه » .

. وحب الله فى اتباع الرسول وسنته : « قل ان كنتم تحبـــون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبـــكم » .

فالقرآن هو الأصـــل الأول فى الدين الداعى الى السنـــة ، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين ، وهى المبينة للقرآن المفصلة لاجماله والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف مثلا أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القـــرآن بل أجمله فى الأمر بالصلاة ، كما انفردت السنة ببعض الأحـــكام مما لم يذكره القرآن مثل تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وتحريم الخمر الأهلية ، وكل ذى ناب من السباع أو مخلب من الطير ، الا أن مثل هذه الأمور يمكن أن يقال بأنها ليست مستقلة استقلالا تاما عن القرآن حيث ان الأخذ بها مندرج تحت أمـــر القرآن باتباع الرسول وسنته ، وأخرج أبو داود والترمزى عن

المقدام بن معد يكرب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، الا وأن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله — زاد أبو داود — الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه» والماثلة للكتاب هى السنة .

ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور، ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامى ، وهما أصل مصادر التشريع،وهما ميزان العدل الالهى الصادق وعلى هديهما يستطيع المصلحون فى كل وقت أن يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يكون الاعتدال الكامل فى الأخلاق والمعاملات والعبادات الا بالكتاب والسنة .

وقد توفى الرسول بعد أن ظل الناس بمكة والمدينة مركزى اشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة ، توفى وهو مطمئن الى أنه تركهما لنا ميزان حق وصدق لن نضل ما تمسكنا بهما ، قال صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى — كتاب الله وسنتى » .

تـــدوين الحديث الشريف

بعث الله فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة • وببعثه الرســـول وتلاوته الـــكتاب والحكمة النبوية وهى السنة زكت نفوس وطهرت قلوب وعمرت صدور بالايمان فاقبلوا على رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم يتعلمون الكتاب والحكمة وأزكى فيهم ذلك الاقبال قدوة حسنة متمثلة فى الرسول ، وبلاغة نادرة متمثلة فى الكتاب والسنة ، وذوق عربى أصيل فى الصحابة حبب اليهم الكتاب والحكمة، وذاكرة واعية ضربوا بها المثل الأعلى فى قوة الحفظ أسعفتهم بتسجيل ما يلقى عليهم من الرسول ووضعوه فى صدورهم الأمينة التى طهرهـــا الاســـلام •

والقـــرآن يدفعهم ويوجههم الى العنـــاية بالسنة واتبـــاع الرسول ، والرسول يفسر ويشرح بالسنة وهم يحفظون ، ومعلوم أن القرآن نزل فى خلال ثلاثة وعشرين عاما فكان الرسول يبـــلغ الآيات ويفسرها وتطبق عمليا ، وفى ذلك يقول أبو عبـــد الرحمن السلمى : حدثنا الذين يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله ابن مسعود ، أنهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل•• قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا • ونهج النبى معهم المنهج التربوى النبوى فكان يتعهدهم بأوعظة كراهة السآمة وفى ذلك تثبيت للمعلومات •

روى البخارى بالسند المتصل عن ابن مسعود قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا » .

والقرآن يدعوهم الى العلم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . والسنة تدعوهم الى العلم روى البخارى بالسند المتصل قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقه » وانما العلم بالتعلم . وفى رواية « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين» ويأمرهم النبى بالتبليغ ويقول لهم بعد المقاتلة فى بعض الأحيان : « هذا فليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه » ودعا لمن أدى مقالته كما حفظها فقال : « نضر الله امرءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره » وقد التزموا أوامر رسولهم وتفانوا فى الحرص على تبليغ العلم ، روى البخارى قال أبو ذر رضى الله عنه « لو وضعتم الصمصامة (السيف) على هذه — وأشار الى قفاه — ثم ظننت أنى أنفذ كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على وتقطعوا رأسى لأنفذتها » .

وقال ابن عباس : « كونوا ربانيين حكماء فقهاء » . ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره .

وكان من عناية الصحابة بحديث النبى أنه كان الواحد منهم اذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون فى السماع ويبلغ الشاهد الغائب ، ويسأل

الغائب الشاهد • وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره وتبليغه • وتعاون ثقات المجتمع الاسلامى من الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم،وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم فى الدنيا أو الآخرة ؟

وعدتهم فى ذلك أيمان عميق بنبيهم وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية التى فاقوا فيها جميع الأمم • وشعورهم الفياض بأن السنة هى سنة رسول رب العالمين • فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم فى صدره ما يساوى كمية نصف القرآن الكريم الذى حفظوه لكانوا جديرين بحراستها فما بالك قد جند لها آلاف الثقات الحفاظ أنفسهم ؟

هذا فضلا عن أن منهم من بدأ يكتب الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وان لم يكن التدوين عاما قد كانت هناك صحائف خاصة • كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنه كاتبا محسنا اشتهرت صحيفته التى دون فيها الحديث « بالصحيفة الصادقة » لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهى أصدق ما يروى عنه ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد : « هذه الصحيفة الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد » • وكانت عزيزة

عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو « ما يرغبنى فى الحيـــاة الا الصادقة والوهط (١) » .

وكان لجابر بن عبد اللـــه الانصارى صحيفة وكان لأنس بن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمـــع الناس واشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه وكان بعد وفاة الرسول صلى الله عليـــه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم . وكان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قد دعا له كما فى صحيح البخـــارى فى باب العلم ، بالسند المتصل عن ابن عباس ، قال : « ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : اللهم علمه الكتاب » . وفى الكفاية : اللهم علمه الحـــكمة وعلمه التأويل .

ولهمام بن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة وهـــو أحد أعلام التابعين رواهـــا عن أبى هريرة . ويقـــول الاستاذ الندوى : ان تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول لأن أبا هريرة توفى سنة ٥٨ هجرية وهى من أمـــلاء أبى هريرة ويقـــرر الاستاذ أبو الحسن القدوى متفقا مـــع صاحب تدوين الحديث العلامة مناظرا حسن الكيلانى رئيس القســـم الدينى العلمى بالجامعة العثمانية بحيدر آبـــاد بأنه اذا جمعت هـــذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العـــدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث . وهكذا يتحقق أن المجمـــوع الكبير الأكبر من

(١) الوهط : أرض لعمرو بن العاص تصدق بها ووقفها .

الأحاديث سبق تسجيله من غير نظام وترتيب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم • وقد شاع فى الناس ـ حتى المثقفين والمؤلفين ـ ان الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى واحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين :

الأولى : ان عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها ضاعت ، مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : أنهم لايتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ويقول الكيلانى : قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية •

فيقال أن أحمد بن حنبل كان يحفظ ـ رضى الله عنه ـ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبى زرعة • ويروى عن الامام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة • ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث• ولايعرف كثير من المتعلمين فضلا عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث « انما الأعمال بالنيات » يروى عن سبعمائة

طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث .

وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف .

ومعظم هذه الثروة الحديثة قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول ، وقد يزيد ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم على عشرة آلاف حديث اذ جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة وعبدالله بن عمرو ابن العاص وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلى بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم فيمكن أن يقال : ان ما ثبت من الأحاديث فى الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتبت ودون فى عصر النبوة وفى عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير أ هـ . وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى عصر الصحابة وعضو عليها بالنواجذ وعرفوا قدرها . ولا نغفل ما حصل من أمر الوضع فى الحديث منذ سنة أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة وحرب الامام على ومعاوية والخلافات سياسية ومذهبية والحادية .

ولكن من الطبيعى أن ذلك لا يصدر الا عمن لا معرفة ولا عناية لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحبة لهم حقيقة مع الرسول . ومن يحاول تقليد شىء لا علم له به يكون أمره مفضوحا

واهيا ، وماذا يفعلون أمام التيار الجارف من الحرص على السنة، وقد أحس الثقات بهم فحصروهم فى قوائم سـوداء وحصروا معهم الضعفاء فى قوائم الكذابين والوضاعين والضعفاء .

وحصروا احاديثهم فى قوائم الموضوعات .

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها ، بحركة قوية جبارة من علماء السنة ووضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يسـاند ذلك الحق والالهـام والذوق والملكة ومعرفة أبطال السنـة وحرصهم عليها فالتزموا الاسناد . يقول محمد بن سيرين فى ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ويقول أبو العالية : « كنا نسمـع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فما رضينا حتى رحلنا اليهم فسمعنا من أفواههم » .

ويقول عبد اللـه بن المبارك : « الاسناد من الدين ولـولا الاسناد لقال من شاء » وعنـه أنه قال : « بيننا وبين القـوم القوائم » يعنى الاسناد . ويقول سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » ورحلوا من أجل الحديث . يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد » . ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضاعين .

ولا يعارض كتابة الحديث فى عصر النبوة والصحابة ما روى مسلم فى صحيحة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«لا تكتبوا عنى غير القرآن، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فان ذلك كان فى بدء الدعوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ، ولم يستقر الأسلوب القرآنى بعد فى النفوس ، أو كان ذلك النهى بالنسبة لكتاب الوحى خاصة حتى يتفرغوا لمهمة القرآن أو النهى كان خاصا بكتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، فانه يدل على الكتابة ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، فقام أبو شاه (رجل من اليمن) فقال أكتب لى يارسول الله • فقال رسول لله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبى شاه » وما روى البخارى فى كتاب العلم عن ابن عباس قال : « لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده • • » الحديث • وهكذا كان عصر الصحابة الذين شهدوا الوحى والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم أعلاما وقدوة ونفى عنهم الشك والكذب والريبة وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره فى محكم كتابه « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » • وفسر

النبى صلى الله عليه وسلم وسطا : عدلا فكانوا ائمة الهدى وحجج الدين ونقله الكتاب والسنة والحراس عليها ومعهم التابعون اختارهم الله لاقامة دينه وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة « والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

يقول ابن أبى حاتم : ندبهم الله عز وجل لاثبات دينه واقامة سنته وسبيله المستقيم فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى اذ كنا لا نجد منهم الا اماما مبرزا ، مقدما فى الفضل والعلم وفى السنة واثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين — الا ما كان ممن الحق نفسه بهم ودسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو فى مثل حالهم لا فى فقه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبيت . أ هـ .

على أنه قبل أن ينقضى عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث فكان التدوين الرسمى بأمر الخليفة على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الاسلامية وانتشار الصحابة فى الأقطار وموت أكثرهم .

روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحة « وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبى بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله فأكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لايعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .

وأبو بكر بن حزم هو عامله وقاضيه على المدينة .

وأوصاه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارى ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر المتوفى (١٢٠) هـ .

وكذلك كتب الى عماله فى أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث . فقد أخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الآفاق : انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه . وأمر خليفة المسلمين كعمر بن عبد العزيز كفيل بأن يشعل الهمم ، ويصادف القبول فى النفوس المستعدة فتسرع للأجابة لتنفيذ أمره على خير وجه ، وقد لبى الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى ١٢٤ هـ وللزهرى مكانته وأمانته .

ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى .

وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٠٥ هـ) وابن اسحاق (١٥١ هـ) ومالك (١٧٩ هـ) بالمدينة وسعيد بن ابى عروبة (١٥٦ هـ) والربيع بن صبيح (١٦٠ هـ) وحماد بن سلة (١٧٦ هـ) بالبصرة ، وبالكوفة سفيان الثورى (١٦١ هـ) وبالشام أبو عمر الأوزاعى (١٥٦ هـ) وبواسط هشيم بن بشر (١٨٨ هـ) وشعبة بن الحجاج (١٦٠ هـ) وبخرسان ابن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن معمر (١٥٣ هـ) وبالرى جرير (١٧٥ هـ) وبمصر عبد الله ابن وهب (١٩٧ هـ) .

وهؤلاء كانوا فى عصر واحد لا يدرى ايهم اسبق فى التدوين ومنهجهم فى التدوين جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلطا بأقوال الصحابة والتابعين ، مع ضم الأبواب بعضها الى بعض ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم نسجا على منوالهم الى أن رأى بعض الأئمة أن يفرد حديث النبى صلى الله عليه وسلم خاصة على رأس المائتين فى أوائل القرن الثالث ، فألفت المسانيد. ومنهج المسانيد أن يجمع أحاديث كل صحابى على حدة وأن تعدد الموضوع . ومن هذه المسانيد مسند عبد الله بن موسى العبسى الكوفى ، ومسند مسدد بن مسرهد البصرى ، وأسد بن موسى الأموى ، ونعيم بن حماد الخزاعى .

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية وهما من أساتذة الامام البخارى ، وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهو ما ثبت صحته بغيره ، ثم افرد البخارى الحديث الصحيح فى كتاب الجامع الصحيح .

السنة والحديث
والخبر والأثر

السنة والحديث والأثر والخبر الفاظ لمعنى واحد ، يطلقها علماء الحديث على ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير أو الى الصحابى أو التابعى .

فالسنة لغة : هى السيرة والطريقة حسنة كانت أم سيئة، وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شىء . ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص شىء من أوزارهم شىء » . فكل من بدأ عملا ليقتدى به غيره فقد سنه له.

ولما كان النبى هو القدوة الحسنة بأقواله وأفعاله قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، كانت السنة فى اصطلاح المحدثين : هى كل ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول قاله مثل ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا اله الا الله . وأنى محمد رسول الله بعثنى بالحق . ويؤمن بالموت . ويأمن بالبعث بعد الموت.ويؤمن بالقدر» رواه الترمذى ، أو فعل فعله صلى الله عليه وسلم ونقله الينا

الصحابة: مثل ماروى عن أبى هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه أعتكف عشرين » • رواه البخارى وأبو داود •

وما نقله الينا معاوية فى صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم ، وصلاته ، وأدائه لمناسك الحج « صلوا كما رأيتمونى أصلى خذوا عنى مناسككم » • أو تقريره لأمر وموافقته عليه صلى الله عليه وسلم • أو أمر فعل أمامه ولم ينكره مثل ماروى عن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى : أنه خرج رجلان فى سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء فى الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له • فقال للذى لم يعد : أصبت السنة ، وقال للأخر : لك الأجر مرتين • رواه أبو داود والنسائى •

والحديث لغة : اسم من التحديث وهو الاخبار • ويطلق أيضا على الجدة بمعنى الجديد فى مقابل القديم • قال شيخ الاسلام ابن حجر فى شرح البخارى : المراد بالحديث فى عرف الشرع ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم •

والنبى صلى الله عليه وسلم سمى قوله حديثا • روى البخارى فى باب الحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه

قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا (الحديث) أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على (الحديث) أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبـــه •

كما أطلق ذلك على كل ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء الراشدين الذين اقتفوا أثره • عن العرباض ابن سارية قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه • فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب • فقال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع• فماذا تعهد الينا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعـــة وان كان عبدا حبشيا • فانه من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا • فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين : تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وأياكم ومحدثات الأمور • فان كل محدثة بدعة • وكل بدعة ضلالة • وكل ضـــلالة فى النار • رواه أبـــو داود •

ولذا أقرر رأى جمهور المحدثين : بأن السنـــة ، والحديث والخبر ، والأثر ، ألفاظ مترادفة لمعنى واحد ، وهو ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم : من قول أو فعل أو تقرير • أو صفة أو الى الصحابى • أو التابعى • خـــلافا لمن جعل السنة خاصـــة

بأعمال النبى صلى الله عليه وسلم ، وجعل الحديث عاما يشمل قوْل النبى صلى الله عيله وسلم وفعله ، وقال ان الخبر : ما أضيف الى غير النبى صلى اله عليه وسلم • والأثر ما روى عن غيره من الصحابة والتابعين •

وقرائن الرواية عن الرســـول والصحابة والتابعين ، تعين وتحدد مفهوم هذه المصطلحـــات •

فالسنة • والحديث • والخبر • والأثر ما سنه الرسول صلى اللـــه عليه وسلم وحدث به واخبر به وأثر عنه وعن الصحابـــة والتابعين •

القـاب المحدثين

ولم يكن علماء الحديث فى مرتبة واحدة أو يشملهم لقب علمى واحد بل تفاوتت الألقاب بحسب التمكن والفهم والمعرفة والنبوغ فهنـاك :

الطالب : وهـو من يروى الحـديث باسناده وليس له علم باسانيد المتون ومعرفة رجالها ولا بعلل المتون ولا معانيها • أنه مجرد حافظ يحفظ أسماء الرواة ويحفظ الأحاديث بأسانيدها •

المحدث: هو من توسع فى الرواية والمعرفة فاشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواته واطلع على كثير من الرواة والمرويات فى عصره وتميز فى ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر ضبطه • قال التاج السبكى : هو من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجـال وحفظ جملة مستكثرة من المتون ، وسمع الكتب الستة ومسنـد أحمد وسنن البيهقى ومعجم الطبرانى وضم الى ذلك ألف جزء من الأجزاء الحديثة ، والمقصـود : انه من حصـل على معرفة بالرجال والكتب تجعله ذا ذوق فى معرفة الحديث •

الحافظ : من الحفظ ويختلف باختلاف العصور وهو من عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفـه من كل طبقة أكثر مما يجهله • وقد ذكروا نماذج من حفظ الحفاظ ليستدلوا بها على هؤلاء الحفاظ ومكانتهم •

فالامام أحمد روى أنه كان يحفظ سبعمائـة وخمسين ألفه

حديث ، والبخارى ثلثمائة ألف حديث ، وكذلك مسلم • وحفظ أبو داود خمسمائة ألف حديث ويحيى بن معين مائة وثلاثين ألف حديث• والحاكم خمسمائة ألف حديث من ستى أنواع الحديث ما بين صحيح وغير صحيح مما يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين •

الحجة : هو الحافظ الذى بلغ فى الحفظ والاتقان مبلغا يصح أن يكون حجة عند العام والخاص •

الحاكم : من عرف أغلب الأحاديث متنا وسندا وجرحا وتعديلا وتاريخا ونحو ذلك مما يتعلق بها من ناحية هذا الفن •

وأعلى درجات المحدثين « أمير المؤمنين فى الحديث » أى أعلم عصره به واجمعهم له وأكثرهم فهما لما يتصل به •

وممن لقب بأمير المؤمنين فى الحديث الامام مالك ، والامام أحمد ، والبخارى ، والدارقطنى ، وغيرهم •

وممن لقب بالحاكم : أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، والحاكم النيسابورى •

هذه فكرة اجمالية عن مدرسة الحديث ودرجاتها العلمية ونظامها الدقيق البالغ الغاية فى الدقة والنظام • وقد تحدث علماء الحديث من دعاة العلم والمتطفلين على مائدته فيما يتصل بهذا المجال • فقال التاج السبكى : ومن أهل الحديث فرقة ادعت الحديث فكان قصارى أمرها النظر فى مشارق الأنوار الصاغانى فان ترفعت فالى مصابيح البغوى ظنت أنها بهذا القدر تصل الى

درجة المحدثين وما ذلك الا بجهلها بالحديث فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب وضم اليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثا.فان رامت بلوغ الغاية على زعمها اشتغلت بجامع الأصول لابن الأثير . فان ضمت الى ذلك كتاب « علوم الحديث »لابن الصلاح أو مختصره المسمى « بالتقريب والتيسير » للنووى ونحو ذلك نودى بمن انتهى الى هذا المقام محدث المحدثين وبخارى العصر،وما ناسب ذلك من الألفاظ الكاذبة ، وانما المحدث من عرف الاسانيد والعلل الخ.. ما سبق ذكره فى تعريف المحدث. وقال أيضا : ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث وجعلت دابها السماع على المشايخ ومعرفة العالى من المسموع والنازل وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة الا أن كثيرا منهم يجهد نفسه فى تهجى الأسماء والمتون وكثرة السماع من غير فهم لما يقرءونه ولا تتعلق فكرته بأكثر من تعدد المشايخ والتفاخر بهم وانما كان السلف يستمعون فيقرءون فيرحلون فيفسرون ويحفظون فيعملون . أ هـ بتصرف . وقد عنف العلماء فى الحملة على مدعى الحديث أو المنتسبون الى مدرسة دون جدارة واستحقاق فقال بعضهم :

ان الذى يروى ولكنه ... يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تنبع أمواهها ... تسقى الأراضى ولا تشرب

وقال فيهم بعض الظرفاء : ان الواحد منهم قليل المعرفة

والمخبرة يمشي ومعه أوراق ومحبرة . ومعه اجزاء يدور بها على شيخ وعجوز لا يعرف ما يجوز مما لا يجوز . فلم يرض العلماء التقعر فى الحديث والسير فيه دون فهم دقيق وذوق رفيع وخبرة عالية حتى لقد سرى منهج علمـاء الحديث الدقيق الى غـيرهم واشتهرت جديتهم عنهم .

وروى الحـاكم النيسابورى بسنده عن محمد بن سهـل بن عسـكر قال :

وقف المأمون يوما للاذان ونحن وقوف بين يديه اذ تقـدم اليه غريب بيده محبرة فقال : يا أمـير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون : ايش تحفظ فى باب كذا ؟ فلم يذكر فيه شيئا . فما زال المأمون يقـول حدثنا هيثم وحدثنا حجـاج بن محمـد وحـدثنا فلان حتى ذكر البـاب ثم سـأله عن باب ثان فلم يذكر فيه شيئا فذكره المأمون ثم نظر الى أصحابه فقال : أحدهم يطلب الحديث ثلاثة أيام ثم يقول : أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاثة دراهم .

ولقد أفضنا فى هذا المجال لندرك الى أى مدى حفظ المحدثون مراكزهم وحددوا مناهجهم وكانت الشهادة لأحد منهم بالأمانـة شهادة معبرة صادقة لها مدلولها الصحيـح .

* * *

مناهج المحدثين

حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رواية الحديث وشجع المسلمين عليه فقال : « نضر الله امراءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها » • و فى رواية : نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » •

وفى رواية : « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » •

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحافظ الحديث وراوى الحديث بالسعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة والبركة فى الجسد وفى الروح بشرط أن تكون الرواية صحيحة وأن يكون الراوى ثقة •

قال سفيان بن عيينة : « ليس من أهل الحديث أحد الا وفى وجهه نضرة لهذا الحديث » •

ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم حملة الدين الحقيقيين الذين تجمعت فيهم أوصاف خاصة هى الذكاء والحفظ والقدرة على استخراج الطيب من الخبيث والتعرف على الصحيح من السقيم فقال : « يحمل هذا العلم من خلفا عدوله ما ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » • وقد روى هذا

الحديث من غير طريق وتعددت طرقه بما يقتضى حسنه كما قال العلائى • • وفى هـذا الحديث رسم لمنهج المدرسة الحديثيـة ووصف لرسالتها فى الحياة • انها تميز الحق من الباطل وحمايـة الدين من كل دخيل عليه • قال النووى رحمه الله : « هذا ــ أى الحديث ــ أخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم ، وحفظه ، وعدالة ناقليه ، وان الله يوفق له فى كل عصر خلفا من العـدول ، يحمونه وينفون عنه التحريف ، فلا يضيـع ، ان فى الحديث رسما لمنهج وأخبارا يتحقق هذا المنهج مصداقا لقولـه تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحـافظون » والذكر هو القرآن ما يبينه من السنة الصحيحة ، وسنرى كيف تحقق هذا الخبر على يد الأئمة الأفذاذ من رجال الحديث • وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فان أصحاب السنن اعلم بكتاب الله عز وجل • وهو بذلك انما يبين خطر السنة النبوية ورسالة رجال الحديث •

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ السنة الصادقة وحذر من الكذب عليه فقال : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعـده من النـار » •

وقال : « من حـدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحـد الكذابين » •

وقال : « ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار »•

وفى هذا الحديث توجيه الى أهمية السنة وخطرها • ان الكذب فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على غيره• اذا لا التزام على أحد باتباع غيره ولا الزام لأحد بذلك أن الكذب عليه عنيف الأثر يمتدوزره الى كل زمان والى كل مكان، وقد يحدث من الآثار ما لا يمكن جبره • وعلى الكاذب عليه أن يتعرف مكانه أنه النار •

من هنا كان اختلاف العلماء فى كذب الكاذب المتعمد على الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان غير مستحل لذلك ولكنهم لم يختلفوا فى أن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث واحد عمدا فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها حماية للسنة وحفظا لحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم — بل لقد قال بعض العلماء بعدم ذهاب الفسق عنه بعد توبته وعدم قبول روايته بعد اقلاعه عن هذا الذنب العظيم •

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التحديث بكل ماسمع السامع فقال : •

« كفى بالمرء أن يحدث بكل ما سمع » • وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع • وقال مالك رحمه الله : أعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون اماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع •

والمقصود من ذلك أن يتحرى الانسان فى الرواية ويعرف وجوه الحديث لينتقى منه ما يصلح للعامة وما لا يصلح ، وما كان منه عاما وما كان منه خاصا وما كان منه مقصودا لذاته وما كان منه غير مقصود . قال النووى : فيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الانسان ، فانه يسمع الصدق والكذب فاذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لاخباره بما لم يكن . ومذهب أهل الحق أن الكذب الاخبار عن الشىء بخلاف ما هو . ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط فى كونه اثما . ولا يناقض هذا ما روى الامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عرو أنه قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتنى قريش فقالوا : انك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى الا حق» وقوله صلى الله عليه وسلم : « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » وقوله : « انى وان داعيتكم فلا أقول الا حقا » لأن النهى انما هو فى حق غير النبى صلى الله عليه وسلم . ففيه توجيه الى التعرف على الرواة والتثبيت من المشايخ وتعرف مجارى كلامهم وأساليبه واذا كان فى كل ما يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم فائدة للمسلمين فان على المحدث أن يتعرف مناسبات الحديث وجو التحديث وأن يتلاءم مع بيئته وظروفه : روى البخارى فى كتاب العلم من

صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال :

« يا معاذ بن جبل • قال : لبيك يا رسول الله وسعديك • قال : ما من أحد يشهد ان لا اله الا الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار • قال معاذ : يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا • قال : اذن يتكلوا » وأخبر بها معاذ عند موته تجنبا لاثم كتمان العلم •

وروى مسلم فى كتاب الايمان : ان عمر رد أبا هريرة وقد أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يبشر الناس بمثل حديث معاذ ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله: أنت قلت لأبى هريرة كذا وكذا •• فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: نعم فقال عمر : لا تفعل فانى أخشى أن يتكل الناس فخلهم يعملون • وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال « فخلهم » لقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قبلا ورأى عمر من بعده أن ظروف المسلمين الشاقة قد تدفعهم الى الاسترخاء عند معرفة هذا الخبر • وأن المصلحة فى عدم اعلامهم به حتى يتعودوا على الأعمال الصالحة ويتمرسوا بفعل الطاعات فلم يعلموهم به رغم صحته وما فيه من فائدة •

وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » •

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول :

حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين • أما أحدهما ، فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم •

وهذا الذى امتنع عن نشره هو ما فيه أخبار الفتن والملاحم وما يكون من الأحداث مما قد ينفر عن الحكام ويخلق الفتن ويثير الأزمات بلا فائدة ترجى منه • أو ما فيه أخبار عن أمور غيبية تتصل بمعانى المتشابهات أو تفصيل بعض المشكلات مما لا تطيق الأفهام فهمه ولا يقدر غير الرسول على تفهيمه •

ومن هنا كان ما قاله عبد الرحمن بن مهدى « لا يكون الرجل يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع » •

وكان أحمد بن حنبل يكره التحديث ببعض الأخبار التى يكون ظاهرها الخروج على الأمير وكان أبو موسى يكره التحديث بالغرائب •

وبالجملة كانوا حريصين على عدم بث الفتنة أو فتح الطريق أمامها برواية ما يسبب ذلك وتوجيه الأنظار اليه محافظة على سلامة الدين من أصحاب الأهواء والشغب والفتن وغيرهم من المغرضين والجاهلين •

وقد حمل الرسول صلى الله عليه وسلم من سمع منه العلم مسئولية تبليغه فقال بعد أن أمر ونهى وبشر وحذر • « ألا ليبلغ الشاهد الغائب » وقال : « ألا هل بلغت مرتين » •

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة بالحفظ ومدحه بحرصه على الحديث •

وكان من هديه التعليمى أنه اذا سئل عن شىء لم يعلمه سكت حتى يأتى الوحى بالجواب •

وكان اذا قال كلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وكان كثيرا ما يطرح المسألة على أصحابه ليجذب انتباههم ويختبر أفهامهم وكان يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم ويختار الأوقات الملائمة للوعظ والتذكير والتدريس كوقت السحر وبعد صلاة الفجر وبعد العشاء ونحو ذلك •

لقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم منهج التحديث ومنهج التلقى وحد الحدود لأخذ السنة واعطائها •

وما جهود العلماء بعد ذلك الا تفصيل لما أجمل وتفنين لما رسم •

وجاء عصر الصحابة : فكان تطبيقا عمليا لتلك التوجيهات النبوية • والحق أن جهود الصحابة فى مجال حفظ الدين بالدرس والعلم ورسم المناهج لاتقل أهمية عن جهودهم لحفظه بالسيف وبذل الأرواح لقد كان الوحى ينزل بما يحتاجون اليه ويكشف مايخفى عليهم، وكانت حلقة الاتصال بين السماء والأرض موصولة حتى ان الخائن كان لا يأمن سره والمخطىء لا يخشى من خطئه والجاهل لايخاف من جهله• قال تعالى «يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم » • وكشف الوحى سر الخطاب الذى أرسله بعض الصحابة لتحذير أهل مكة ونزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدكم أولياء » وكم نزل القرآن يوضح المشكل ويبين الصواب •

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ما خفى وبرز ما استتر وأمن الخائف على نفسه وارتد كثير من العرب ومنع بعضهم الزكاة وحاولوا تشويه الدين بالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم • ولكن أبا بكر وقف وقفة الحيطة والحذر ، فكما حد المرتدين وكسر شوكتهم وبدد شملهم كذلك سد الباب فى وجوه الكذابين بما وضعه من قوانين الرواية وتابعه عمر رضى الله عنه على ذلك • واحتياطا للدين وحرصا على السنة وتفرغا لمشاكل الحرب الساخنة المفروضة على المسلمين كان الاتجاه الى تقليل الرواية والمبالغة فى الاحتياط والتثبت لارهاب الكاذبين ، وتخويف الماكرين • فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه — على كثرة سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم — يقلل من رواية الحديث — وهذا عمران بن حصين — وهذا أبو عبيدة ، والعباس ابن عبد المطلب وغيرهم • كلهم يقلون الرواية ، حتى أن سعيد ابن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة لم يرو له الا حديثان أو ثلاثة • وهذا أبى بن عمارة لم يرو له الا حديث واحد فى المسح على الخفين •

وهذا انس بن مالك قال : انه ليمنعنى أن احدثكم حديثا كثيرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من تعمد على كذبا فليتبوا مقعده من النار • وكان اذا ذكر حديثا ختمه بقوله « أو كما قال » حذرا من أن يغير لفظا منه • وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر الناس بتقليل الرواية وكان مهيبا عند جميع الصحابة وما كان كذلك الا ليتمكن من حصر مصادر الأخبار فى تلك

الفترة الحاسمة • روى الشعبى عن قرظـــة بن كعب انه قـــال : خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر الى صرار ، فتوضأ ، فغسل اثنتين ثم قال : اتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا فقال : أنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم • جودوا القرآن واقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • أمضوا وأنا شريكـــكم •فلما قدم قرظة قالوا حدثنا قال : نهانا عمر بن الخطاب • و فى هذا الخبر ما يـــدل على ان عمر رضى الله عنه رأى أن العناية أولا ينبغى أن تكون مركزة على القرآن لأنه الأساس وأن حفظ القرآن سيجر حتما الى حفظ السنة والبحث عن كل ما يتعلق بهـــا •

وسأل عبد اللـــه بن الزبير أباه : انى لا أسمعك تحـــدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان فقال له أما انى لم أفارقه ولكنى سمعته يقول : « من كذب على فليتبوأ مقعده من النـــار » •

وقيل لزيد بن أرقم وقد كبر سنه ووهن عظمه : حدثنا يازيد فقـــال : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم شديـــد •

ولم يقتصر الصحابة على ذلك ، سواء من أنفسهم أو بتوجيه الخلفاء وانما رسموا منهج التثبيت من رواية الحديث ومن رواته فلم يقبلوا الا ما اطمأنت اليه نفوسهم ورضيته ضمائرهم •

وقد بين الذهبى فى تذكرته أن أبا بكر رضى الله عنه كان أول من احتاط فى قبول الأخبار . وروى عن الزهرى عن قبيصة : أن الجدة جاءت الى أبى بكر تلتمس أن تورث . قال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس . فقام المغيرة بن شعبة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس : فقال هل معك أحد . فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه أبو بكر لها .

وروى عن عمر رضى الله عنه بعد أن ذكر أنه الذى سن للمحدثين سنة التثبت فى النقل وربما كان يتوقف فى خبر الواحد اذا ارتاب — أن أبا موسى سلم عليه من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع ، فأرسل عمر فى أثره فقال : لم رجعت ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع » قال لتأتينى على ذلك ببينه أو لأفعلن بك . فأخبر أبو موسى بعض الصحابة بذلك وسألهم هل سمع أحد منكم هذا الحديث فقالوا نعم كلنا سمعه وأرسلوا معه رجلا منهم أخبره . . وقال لأبى بن كعب وقد روى له حديثا لتأتينى على ما تقول ببينه فلما أحضر ما يؤيد قوله قال عمر رضى الله عنه : أما أنى لم أتهمك ولكن أحببت أن أتثبت — ولعل عمر رضى الله عنه بذلك أنما أراد أن يختبر حفظ الرواة من الصحابة مع ثقته التامة فى عدالتهم ونزاهتهم . وعن أسماء بن الحكم الفزارى أنه سمع عليا يقول : كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى به وكان

اذا حدثنى غيره استحلفته فاذا حلف صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له »• وكان كثير من الصحابة يختبرون حفظ الرواة وينقدون الحديث نقدا ذاتيا داخليا بمقارنته بغيره مما ثبت وصح • فهذه عائشة رضى الله عنها ترد حديث رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج بظاهر قوله تعالى : « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » • وهذا اجتهاد منها عارضها فيه غيرها بأن معنى الآية « لا تحيط به الأبصار » وبذلك لا تتنافى الآية مع الحديث — وفى هذا ما يدلنا على أن نقد الحديث على الأساس الداخلى يضر بالسنة أكثر مما يفيد لأنه يفتح المجال أمام غير المتخصصين للطعن فى السنة بأدنى توهم — فاذا كانت عائشة وهى من هى قد أخطأت حينما استعملت مثل هذا المنهج فما بالك بغيرها ؟ ! ومن ذلك أيضا أن عائشة لما سمعت بوقوف النبى صلى الله عليه وسلم على قتلى بدر وقوله : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » وأنه قال : انهم الآن يسمعون ما أقول ، قالت : انما قال النبى صلى الله عليه وسلم : انهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت « انك لا تسمع الموتى » حتى قرأت الآية ، وخالفها غيرها فقال ان الآية فى سماع الاجابة وأن الموتى غير مكلفين ، وفى رواية أنها قرأت

أيضا قوله تعالى : « وما أنت بمسمع من فى القبور » والمراد من الآيتين عدم تكليف الموتى ووجوب تبليغهم الرسالة لانقطاعهم عن دار التكليف . . وقد بينت الآية الأخيرة أن اللـه يسمع من يشاء . وغرضنا هو بيان فساد هذا المنهج فى الحكم على السنة والوقوف معه عند حد الضرورة .

وكما كان لها فى مجال النقد الداخلى شأنها فانهـا اختبرت الرواة والمحدثين خاصة من اشتهر منهم بالرواية.ففى الصحيحين عنها : أنها قالت لعروة بن الزبير يا ابن أختى بلغنى أن عبد اللـه ابن عمـرو مار بنا الى الحج فالقه فأسأله فانـه حمل عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا قال : فلقيته فسألته عن أشيـاء يذكرها عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويبقى فى الناس رءوس جهال يفتونهم بغـير علم فيضلون ويضلون . قال عروة فلمـا حدثت عائشة بذلك أعظمته وأنـكرته . قالت : أحدثك أنه سمع رسول اللهصلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة: نعم. حتى اذا كان عام قابلقالت لى: ان ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكره لك فى العلم. قال : فلقيته فسألته فذكر لى نحو ما حدثنى فى المرة الأولى . قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ما احسبه الا وقد صدق أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . لقد أختبرت حفظه أحلى أختبار وهو

لا يشعر فنجح فى الاختبار . يتبين لنا من ذلك أنها كانت حريصة على تنقية السنة من كل ما يمكن أن يكون فيه أدنى ريب أو عيب وكذلك كان أكثر الصحابة رضوان الله عليهم ولم يمنع هذا التدقيق من انتشار رواية الحديث وقبول خبر الواحد الثقة فقد قبل عمر خبر الضحاك بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديته وخبر عبد الرحمن بن عوف فى الرجوع عن بلد الطاعون وعدم الدخول عليه وغير ذلك .

ولما أوشك عصر الصحابة على الانتهاء فتحت الفتن أفواهها ولعبت دسائس الكفار والمنتفعين والمشتغلين أدوارها فتفرق المسلمون وظهرت الأحزاب وكان الشيعة والخوارج والأمويون والعلويون ونحو ذلك ، بدأ الوضع بصورة جدية فى الحديث ومحاولة ادخال ما ليس منه فيه . روى ابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات عن ابن لهيعة أنه قال: سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول: ان هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا . وقال عبد الرحمن ابن مهدى فى حديث « اذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته » : « ان الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث» وابتدع الشيعة أحاديث كثيرة منها ما وضعوه فى مناقب على يرفعون من قدره وما وضعوه فى الحط من شأن معاوية وبنى أمية . ومن ذلك .

« من مات وفى قلبه بغض لعلى بن أبى طالب فليمت يهوديـــا أو نصرانيـــا » .

« ستكون فتنة فان أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين : كتاب الله ، وعلى بن أبى طالب » . . الخ .

وهى أحاديث طافحة بالوضع بعيدة عن نور النبوة .

ولما خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى على عبد الله بن الزبير قال لرجل من محترفى الحديث : ضع لى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كائن بعده خليفة يطالب له بترة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعه مركوب وخادم فقال له الرجل : أما عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا ولكن اختر من شئت من الصحابة وحط لى من الثمن ما شئت قال : عن النبى صلى الله عليه وسلم أوكدوا العذاب عليه أشـــد .

بل لقـــد حاول بعض الشيعة تركيب أحاديث موضوعـــة على أسانيد صحيحة فقابلهم أئمة الحديث من أصـــل الصحيح بعـــدم اعتماد احاديث على رضى اللـــه عنه ولا فتاواه الا ما جاء عنه من طريق أهل بيته خاصة أو من طريق أصحاب عبد اللـــه بن مسعود كعبيدة السلمانى وشريح وأبى وائـــل ونحوهم وهى طرق أطمأن الى سلامتها حذاق المحدثين .

وكان أعداء الشيعة يحاربونهم بأسلحتهم ، فوضعوا أحاديث مضادة لأحاديثهم: «ان فى السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون

الله لمن أحب أبا بكر وعمر» الخ.. « اذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقبلوه فانه أمين مأمون » مقابل اذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فأقتلوه والكل موضوع .

ولكن الله تعالى حفظا لدينه وتحقيقا لقول رسوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له » الخ. قيض للسنة حماتها وهيأ لها رجالها فرفضوا أحاديث أهل الفرق وحفظوا السنة من أهل الأهواء وقصدوا القبول على الأحاديث الصحيحة المنقولة عن رجال مخلصين تجردوا عن التعصب ، لهم من دينهم ما يحفظ عليهم صدقهم ويردعهم عن الكذب والاختلاق وزادوا فى الاحتياط ودققوا فى الانتقاء .

وقد ذكر الامام مسلم فى مقدمة صحيحة صورة صادقة للتخوط ودواعيه ، فروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا — أنتم ولا آباؤكم فاياكم وأياهم ولا يضلونكم ولا يفتنونكم » .

وعن طاوس قال : جاء هذا الى ابن عباس — يعنى بشير بن كعب — فجعل يحدثه فقال له ابن عباس عد لحديث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه فقال له عد لحديث كذا وكذا فعاد له فقال له : ما أدرى أعرفت حديثى كله وانكرت هذا أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : أنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن يكذب فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه .

وعن مجاهد قال : جاء بشير العدوى الى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر اليه • فقال : يا ابن عباس لا أراك تسمع لحديثى • أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع لحديثى ؟ فقال ابن عباس : أنا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا اليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس الا ما نعرف •

وعن ابن أبى مليكة قال : كتبت الى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتابا ويخفى عنى•فقال ولد ناصح أنا أختار له الأمور اختيارا وأخفى عنه•قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشىء فيقول : والله ما قضى بهذا على الا أن يكون ضل •

وعن طاوس قال : أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على رضى الله عنه فمحاه الاقدار • وأشار سفيان بن عيينة بذراعه •

ومن ذلك كله نتبين أن بعض الصحابة ومنهم ابن عباس واجهوا هذا التيار بحسم ورسموا المنهج الصحيح لمقاومته وربوا على ذلك الكثيرين من النبهاء •

وعن ابن سيرين قال : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم •

ولقد تفرق الصحابة فى البلاد المختلفة وكونوا فيهـا حلقات العلم وزرعوا بها مدارس الحديث وغرسوا هذا المنهج النبوى الحكيم فى الحث على السنة والتحذير من التهـاون فى شأنها أو ادخال ما ليس منها فيهـا .

وحفـظ التاريخ كثـيرا من الصحابـة واتباعهم بالأمصـار المختلفة .

فبالمدينة كان أبو بكر وعمر وعلى قبل انتقاله الى الكوفة وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وقد تخرج على أيديهم أفاضل التابعين مثل سعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى وغيرهم من فقهاء المدينـة وعلمائها الذين كانوا من المراجع الهامة فى السنة والذين انتفعت بعلومهم أمصار الاسلام فى مواسم الحج وغيرها .

وكان بمكة معاذ بن جبل وعبد الله بن عباس وعبد اللـه بن السائب المخزومى وخباب وخالد ابنا أسيد والحكم بن أبى العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم وتخرج على أيديهم أفاضل التابعين مثل مجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن عبـاس وعطاء بن أبى ربـاح وغـيرهم .

وكان بالكوفة على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وسعيد ابن أبى وقاص وسعيـد بن زيد وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبو موسى الأشعرى والنعمان بن بشير والبراء بن عازب وغيرهم

وتخرج على أيديهم كثيرون من أفاضل التابعين منهم مسروق بن الأجدح وعبدة بن عوف السلمـــانى وابراهيم بن يزيد النخعى وغـــيرهم .

وكان بالبصرة أنس بن مـــالك وعتبة بن غزوان وعمران بـــن الحصين ومعقل بن يسار وغـــيرهم وتخرج عليهـــم من التابعين الحسن البصرى ومطرف بن عبد الله بن الشخير وأبو بردةبن أبى موسى وغـــيرهم .

وكان بالشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس بن عبد المطلـــب وتخرج على أيديهم كثير من التابعين كأبى أدريس الخولانى وقبيعـــة بن ذوئب ومكحول بن أبى مسلم وغـــيرهم .

وكان بمصر عبد اللـــه بن عمرو بن العاص وعقبـــة بن عامر الجهنى وخارجة بن حذافة وأبو بعرة الغفارى وغيرهم وتخـــرج على أيديهم كثير من التابعين كأبى الخير مرثد بن عبد الله اليزنى ويزيد بن أبى حبيب وغـــيرهما .

لقد امتد نور النبوة ممثلا فى الصحابة وما حملوه من علم الى كل أقطار الاسلام وحملت طائفة خيرة منهم الى من بعدهم وهكذا جيلا بعد جيـــل حتى وصلت السنة الى قمـــة ازدهارها على يـــد أئمـــة الحديث .

الرحـــلة فى طلب الحديث

لقد رحل الصحابة واتباعهم الى شتى الأقطار والبلاد حتى أن الفرد منهم ليتميز بكثرة رحلاته وانتسابه الى أكثر من بلد •

ولقد حفظت لنا كتب السيرة وفود العرب الى الرسول صلى اللـــه عليه وسلم وبعثات الرســـول الى البـــلاد المختلفـــة لنشر العلم وتعليم السنـــة •

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حافظ الصحابة على تلك السنة الكريمة ، ومن أبرز الرحلات فى سبيل العلم وطلبه • ما روى عن أبى أيوب الأنصارى أنه رحل من المدينـــة الى مصر لمقابلة عقبة بن عامر وسؤاله عن حديث سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم فلما قدم الى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى أمـــير مصر خرج اليه وعانقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيـــوب ؟ قال : حديث سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه غيرى وغير عقبة فابعث من يدلنى على منزله • فبعث معه من يدله على ذلك فخرج اليـــه عقبة وسأله عن سبب مجيئه فقـــال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه غيرى وغيرك فى ستر المؤمن قال عقبة: نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من ستر مؤمنا فى الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة» فقال أبو أيوب صدقت ثم انصرف أبو أيوب

الى راحلته فركبها راجعا الى المدينة وما حـل رحله فما أدركته حائزة مسلمة بن مخلد الا بعريش مصر .

وروى أن عمرو بن أبى سلمة قال للأوزاعى : يا أبا عمرو أنا الزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك الا ثلاثين حديثا ــ قـال : وتستقل ثلاثين حديثا فى أربعة أيام ؟ لقد سار جابر بن عبد الله الى مصر واشترى راحلة فركبها حتى سأل عن حديث واحد وعاد الى المدينة وأنت تستقل ثلاثين حديثا فى أربعة أيام .

وهذا سعيـد بن المسيب من كبار التابعين يقـول : انى كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالى فى الحديث الواحد .

وروى الشعبى حديثا ثم قال للسامع خذها ــ أى الرواية ــ بغير شىء فقد كان الرجل يرحل فيما دونها الى المدينة .

وعن جابر بن عبد الله قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشـام فاذا بعبد اللـه بن أنيس الأنصارى . فأتيت منزله وأرسلت اليه جابرا علىّ الباب ، فرجع الى الرسول فقال : جـابر بن عبد الله فقلت نعم . فخـرج الى فاعتنقته واعتنقنى قال : فقلت : بلغنى عنك أنك سمعت حديثا فى المظالم من رسول الله صلى اللـه عليه وسلم لم أسمعه أنا منـه فروى له الحديث .

وعن عبد الله بن عباس أنه كان يذهب الى الرجل من الصحابة عنده الحديث ولو أرسل اليه لجاءه .

وعن أبى العالية قال : كنا نسمع عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نرضى حتى خرجنا اليهم فسمعنا منهم •

لقد كانت الرحلة سبيلا الى جمع العلم وسبيلا الى التثبيت من العلم وسبيلا الى التعرف على الجـــو العلمى فى أقطار العالم الاسلامى وتدعيما لوحدة المسلمين • وتنافس الجميع فى الاكثار منها والحرص عليها تنافسهم الشريف فى تحصيل العلم والاكثار منه ولم يبالوا فى سبيل ذلك بتعب مادى أو مالى •وسنرى عنـــد الحديث على أئمة الحديث أن الأكثر منهم رحلوا الى شتى الأقطار ومن لم يرحل استفاد من علم الأقطار لمركـــزه الحيوى فى نظـــره وتوافـــق الناس عليه •

أولا :

أئمة الحديث النبوى من الصحابة

الصحابة المكثرون لرواية الحديث

اشتهر برواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة من الصحابة شاء الله أن يكون حفظهم فى كثرة رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من غيرهم ، فتألقت أسماؤهم فى سماء رواية الحديث ، واصطلح العلماء على أن من روى أكثر من ألف حديث عد مكثرا .

وذكروا هؤلاء السبعة المكثرين للحديث على حسب ترتيبهم فى كثرة الرواية وهم :

أبو هريرة — عبد الله بن عمر — أنس بن مالك — السيدة عائشة — عبد الله بن عباس — جابر بن عبد الله — أبو سعيد الخدرى . .

واليك ترجماتهم على حسب هذا الترتيب .

أبو هريرة

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم نجوم الهدى ، والمقتبسون من أنوار النبوة ، الناقلون الينا علم الاسلام قرآنا وسنة ، ومن هؤلاء الصفوة من الصحابة أبو هريرة راوية الاسلام أول المكثرين لرواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس بن صخر ولما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم . عبد الرحمن دوس احدى قبائل اليمن العريقة فى عروبتها .

وكان يرعى الغنم ومعه هرة صغيرة يعطف عليها ويضعها فى الليل فى الشجر ويصحبها فى النهار فكناه القوم أبا هريرة .

أسلم رضى الله عنه فى السنة السابعة من الهجرة عام خيبر وكان عمره حينذاك نحوا من الثلاثين سنة وقدم المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم حين رجع من خيبر وسكن صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصبح عريف أهل الصفة . أهل العلم والعبادة، أضياف الاسلام وعباد الله المتمتعون برضوانه تعالى.

أصحاب جامعة عريقة قوامها كتاب الله وسنة نبيه صابرون فى البأس والضراء لأنسهم بالله .

يقول أبو هريرة : ان كنت لأعتمد على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع . ولقد قعدت على طريقهم فمر بى أبو بكر فسألته عن آية فى كتاب الله ماأسأله الا ليستتبعنى فمر ولم يفعل ، فمر عمر فكذلك حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف فى وجهى من الجوع . فقال الرسول أقبل أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : لبيك يا رسول الله ، فدخلت معه البيت فوجد زيتا فى قدح فقال : من أين لكم هذا ؟ قيل أرسل به الينا فلان .

فقال يا أبا هريرة : فانطلق الى أهل الصفة فادعهم ، وكان أهل الصفة أضياف الاسلام لا أهل ولا مال ، اذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة أرسل بها اليهم ولم يصب منها شيئا،

واذا جاءته هدية أصاب منها وأشركهم فيها ، فأقبلوا مجتمعين فلما جلسوا قال : خذ يا أبا هريرة فأعطهم فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى حتى اذا أتيت على جميعهم ناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه لى مبتسما وقال : اشرب فشربت ، فقال اشرب فشربت فما زال يقو ل اشرب فأشرب حتى قلت : والذى بعثك بالحق ما أجد مساغا فأخذ فشرب من الفضلة .

ولقد حبب الله لأبى هريرة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ أحاديثه فكان أكثر رواة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ للمسلمين ثروة طائلة من السنة النبوية ، وقد اختاره الله لهذه المهمة الجليلة فوهبه ذاكرة قوية محققا دعوة خير البرية .

وروى الشيخان : أن أبا هريرة قال : انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم، انى كنت امرءا مسكينا صحبت النبى صلى الله عليه وسلم على بطنى ، وكان المهاجرون تشغلهم التجارة فى الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على جمع أموالهم .

فحضرت من النبى صلى الله عليه وسلم مجلسا ،فقال . من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت ردائى على حتى قضى حديثه ثم قبضتها الى ، فو الذى نفسى بيده لم أنس شيئا سمعته منه صلى الله عليه وسلم .

ولذا كان مرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى النسائى : فى باب العلم من سننه « أن رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله عن شىء فقال : عليك بأبى هريرة ، فانى بينما أنا جالس وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم حتى حضر الينا مسكنا فقال : عودوا للذى كنتم فيه . قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال اللهم انى أسألك ما سألك صاحباى وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ، فقلنا : يا رسول الله نحن نسأل الله علما لا ينسى فقال بها الغلام الدوسى . وهذا يدل على مدى شغل أبى هريرة وتلهفه على تحصيل العلم النبوى فكان شغله الشاغل ، يحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أنه لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يو م القيامة من قال لا اله الا الله خالصا قلبه .

وأبو هريرة العالم العابد المتصوف المجاهد فى ميدان الجهاد ولاعلاء كلمة الله شهد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم موقعة اليرموك ، وبعد وفاته فى حرب الردة قاتل مع أبى بكر الصديق

ضد المرتدين ، وأشار بذلك ، أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى اللـــه عليه وسلم قال :.« أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا الـــه الا اللـــه فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحســـابهم على الله تعالى ، قال فلما كانت الردة قال عمر : لأبى بكر تقاتلهم وقد سمعت رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول : كذا وكذا ؟ فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من فـــرق بينهما ، قال أبو هريرة فقاتلت معـــه .

أما عن كرم أبى هريرة : فقد نقل عن أبى نضرة عن رجل من قال . نزلت على أبى هريرة ولم أدرك من الصحابة رجلا أشـــد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه .

وأخرج أحمد عن أبى عثمان النهدى قال : تضيفت أبا هريرة فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل أثـــلاثا ، يصلى هـــذا ثم يوقظ هـــذا .

وطال عمر أبى هريرة عاش بعد الرسول سبعة وأربعين عاما ينشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فـــكان مرجع المسلمين فى رواية الحديث حتى أن عبد اللـــه بن عمر كان يترجم عليـــه فى جنازته ويقول (كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وقد روى عن أبى هريرة نحو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم، وروى عنه أصحاب الكتب الستة والامام مالك فى موطاه ، والامام أحمد بن حنبل فى مسنده ، وقد جمع أبو اسحاق ابراهيم بن حرب العسكرى المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية مسند أبى هريرة وتوجد نسخة منه فى خزانة كوبرلس بتركيا كما ذكر صاحب الأدب العربى •

نضر الله وجه أبى هريرة ، فقد حفظ على المسلمين حديث رسول الله ، وسمع مقالة الرسول فأداها كما سمعها •

دخل مروان عليه فى مرضه الذى مات فيه فقال شفاك الله •

فقال أبو هريرة : اللهم انى أحب لقاءك فأحب لقائى ثم خرج مروان فما بلغ وسط السوق حتى مات •

انه من خيرة صحابة الرسول الذين قال فيهم الرسول : (خيركم من رآنى وآمن بى) وهو من القرن الأول الذين قال فيهم : (خير القرون قرنى) وهو القائل (الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم عرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم •

وتوفى بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة عن ثمانية وسبعين عاما قضاها فى خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

عبد اللـــه بن عمر بن الخطاب

نسبه : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحى أخت عثمان بن مظعون •

ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلـــغ الحلم •

مشـــــاهده

عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربـــع عشرة فى أحد فلم يجزه وعرض عليه فى الخندق فأجازه وهو أول مشهد شهده ــ وشهد غزوة مؤته واليرموك وفتح مصر وأفريقية وقدم الى فارس غازيا وهكذا نرى أن نشاطه الحربى كان موفورا حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها فى حياة الاســـلام والمسلمين ولا غرو أن اضافت تلك الأمجاد الحربية اليه مكانة فى النفوس وخاصة نفوس أهل الشام حيث كان الوحيد الذى يمكنه أن يقاسم معاوية فيها الولاء لو أراد ولـــكنه آثر الآخرة كما يأتى :

علمـــــه

كان من النجباء الفاهمين اغترف من فيوض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفـــة وفى أحد المجالس قال النبى صلى الله عليه وسلم (ان من الشجـــر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ما هى قـــال عبد الله فوقع فى نفسى أنها النخلة ــ ووقع الناس فى شجـــرة

البوادى • ثم قالوا ما هى يا رسول الله ؟ قال ــ النخلة ــ فلما عرف عمر استحياءه عن الاجابة لصغره قال له (وددت لو قلتها ولا أملك كذا وكذا تشجيعا له ــ وكان كثير المسائلة دقيق العلم خالص الورع محافظا على السنة روى مالك فى الموطأ عن نافع وعبد الله بن دينار أنهما أخبراه أن عبد الله بن عمر قدم الكوفة على سعد بن أبى وقاص وهو أميرها فرآه عبد الله بن عمر يمسح على الخفين فأنكر ذلك عليه فقال أسألت أباك ؟ فقال لا فسأله عبد الله ــ فقال عمر : اذا أدخلت رجليك فى الخفين وهما طاهرتان فامسح عليهما ــ قال عبد الله وان جاء أحدنا من الغائط قال عمر : نعم وان جاء أحدكم من الغائط ــ ومناقشته مع الصحابة للتعلم أو التعليم كثيرة مشهورة •

شجاعته فى الحق

لما فرض عمر لأسامة بن يزيد ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبد الله ألفين وخمسمائة قال له يا أبت : لم تفرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى ألفين وخمسمائة والله ما شهد أسامة مشهدا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال: صدقت يابنى ولكنى أشهد لأبوه كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ولهو أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك • وعلق الحاكم على ذلك بقوله : فشهد له عمر بأنه لا ينام من الليل الا قليلا •

عبادتـــه وورعـــه

عن نافع عن ابن عمر أنه كان يحيى الليل صـــلاة ثم يقول : يانافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة ثم يقول يانافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعـــو حتى يصبح •وكان شـديـــد الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر بذلك بين الصحابة فعن جابر رضى الله عنه قال • مامنا أحد أدرك الدنيا الا قد مالت به ومال بها الا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعنه أيضا قال • اذا سركم أن تنظروا الى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين لم يغيروا ولـــم يبدلوا فانظروا الى ابن عمر • وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت أحد الزم للأمر الأول من ابن عمر وعن نافع قال ان كان ابن عمر ليقسم فى المجلس ثلاثين ألفا ثم يأتى عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم فسئل نافع هل كان يأكل اللحم ؟ قال : كان اذا صام أو سافر فانه أكثر طعامه • وكان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الحج والتصدق حتى اشتغل رقيقه حبـــه الانفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فـــاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقال له : انهم يخدعونك فيقول : من خدعنا بالله انخدعنا له وكان اذا قرأ هذه الآية : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » بكى حتى يغلبه البـــكاء • • وكان اذا ذكر أمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى واذا مر على ربعهم أغمض عينيه • • وسئل عنه نافع : ما كان يصنع فى منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما • • فلا غرو

اذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه واذا قيل : كان عمر فى زمانه من يشبهه وتوفى عبد الله بن عمر وما فى زمانه من يشبهه وعنه : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل • وكان يقول : اذا أصبحت فلا تنتظر المساء واذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك •• وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ما حق أمرىء سلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وفى رواية ثلاث ليال ثم قال : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى •• فيا لله لتلك النفوس الطاهرة التى باعت الدنيا بالآخرة وحرصت على العمل أكثر من حرصها على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة فى الدنيا والفوز فى الآخرة •

ابن عمر راويا وفقيها

كان متشددا فى الرواية حريصا على آداء ماسمع كما سمع بلا زيادة ولا نقص فعن أبى جعفر قال : لم يكن أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر أن لا يزيد فيه ولا ينقص من ابن عمر •• وعن مالك : قال لى ابن شهاب : لا تعدلن عن رأى ابن عمر فانه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شىء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من أمر أصحابه • وقد نقل صاحب الفتح الربانى بترتيب مسند الامام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها

ما روى عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما • يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعا لم أر من أصحابك من يصنعها : قال ما هن يا ابن جريج ؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان الا اليمانيين ورأيتك تلبس النعال السبتية ورأيتك تصبغ بالصفرة ورأيتك اذا كنت بمكة أهل الناس اذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية • • فقال عبد الله : أما الأركان فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس الا اليمانيين وأما النعال السبتية فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها • • وأما الصفرة فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها وأما الاهلال فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها حتى تنبعث به ناقته • • والناظر فى كتب السنة يجدها مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحمودة حتى انه كان كثيرا ما يقول لا أدرى اذا سئل خوفا من أن يقول فى الذين بالرأى أو تجره الأسئلة الى القول بغير علم •

وفاتــه

حكى مولى له قال : انه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل ابن الزبير وقام اليه فأسمعه فقال الحجاج اسكت يا شيخا قد خرفت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلا من أهل الشام فضربه بحربة فى رجله ثم دخل عليه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى

أصابك لضربت عنقه فقال : أنت الذى أصبتنى • قال كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح ووصى ابنه سالم أن يدفنه خارجا من الحرم فلم يقدر فدفن بالحرم بفتح فى مقبرة المهاجرين وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربع وثمانين سنة •

آثاره وروايته

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فأكثر وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر ومعاذ بن جبل ورافع بن خديج وأبى هريرة وعائشة •

وروى عنه ابن عباس وجابر والأغر المزنى من الصحابة ومن التابعين بنوه سالم وعبد الله وحمزة وبلال وزيد وعبد الله ومصعب بن سعد وسعيد بن المسيب وأسلم مولى عمر ونافع مولاه وخلق كثير وعده ابن حزم من أكثر الصحابة فتيا مطلقا وممن يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم مجلد ضخم • وعدوه من المكثرين فى الحديث فقد روى عنه ألفى حديث وستمائة وثلاثين حديثا • ومن أصح الأسانيد اليه بل لقد عدها بعض العلماء أصح الأسانيد على الاطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهرى عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر •

ثناء العلماء عليه

عن حذيفة قال : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفى وما منا أحد الا وتغير عما كان عليه الا عمر وعبد الله ابن عمر رضى الله عنهما •

وعن سعيد بن المسيب قال : لو شهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشهدت على ابن عمر وعنه أيضا : كان ابن عمر حين مات خير من بقى وعن طاوس ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر بل قال عبد الله بن مسعود : ان أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر .

رحم الله بن عمر علما من أعلام الاسلام فى السلم والحرب فى مواقف الجد وفى مواقف الحزم وفى مواقف الورع ووفقنا الى الاقتداء به وأمثاله والسير على نهجهم الى يوم الدين .

أنس بن مالك

نسبة : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر من غنم بن عدى بن النجار المدنى نزيل البصرة .

وأمه أم سليم بنت ملحان

كنيته : أبو حمزة ويقال أبو ثمامة الأنصارى البخارى .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن رواحة وفاطمة الزهراء وثابت بن قيس بن شماس وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبى ذر وأبى بن كعب ومعاذ ابن جبل وأمه أم سليم وجماعة .

وروى عنه الحسن وسليمان التيمى وأبو قلابة وأبو مجاز وعبد العزيز بن واسحاق بن أبى طلحة وأبو بكر بن

عبد الله وقتادة وثابت البنانى وحميد الطويل ومحمد بن سيرين وأنس بن سيرين ويحيى بن سعيد الأنصارى وسعيد بن جبير وخلائق من الآفاق .

(مع النبى صلى الله عليه وسلم)

قدم الى النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وشهور فخدمه تسع سنين وشهور بعد أن قدمته أمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخدمه فكان نعم الخادم ارتفع بخدمته الى أعلا مراتب السيادة والفخار وكانت له زؤابة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدها ويأخذ بها .

حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم الكثير وانتفع بتوجيهاته وأسرته شيم النبوة الكريمة ومعاملة النبى صلى الله عليه وسلم المثالية . خدم النبى صلى الله عليه وسلم حتى مات فما قال له أفاقط ولا قال له لم فعلت هذا وهلا فعلت كذا، أرسله صلى الله عليه وسلم يوما لحاجة فخرج حتى مر على صبيان يلعبون فى السوق فشاركهم اللعب فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاه من ورائه فنظر اليه وهو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك ؟ قال نعم أنا أذهب يا رسول الله .

وعنه : لما كان صبيحة اليوم الذى احتلمت فيه أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تدخل على النساء إلا باذن . . قال . . فما أتى على يوم كان أشد على منه . .

وكان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم واداوته.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة . قال أنس : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة فو الله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم .

وقا للرسول صلى الله عليه وسلم . خويدمك أنس اشفع له يوم القيامة قال . أنا فاعل قال فأين أطلبك ؟ قال . عند الصراط فانوجدتنى والا فأنا عند الميزان فان وجدتنى والا فأنا عند حوضى لا أخطىء هذه الثلاثة مواضع .

وعنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا .

وفاته

ومات أنس بعد حياة حافلة بالجهاد والعلم والعمل وكانت عنده عصابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنت معه بين جنبيه وقميصه ولما أدركه الموت جعل يقول : اقنونى لا اله الا الله فلم يزل يقولها حتى قبض رضى الله عنه .

وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة مات سنة ثلاث وتسعين وهو ابن مائة وثلاث سنين على الأرجح وعن قتادة قال : لما مات أنس ابن مالك قال مورق العجلى: ذهب اليوم نصف العلم فقيل وكيف ذاك يا أبا المغيرة قال : كان الرجل من أهل الأهواء اذا خالفنا فى

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا له : تعالى الى من سمعه منـــه •

كـــرامة لأنس

وصاحب كأنس ليس كثيرا عليه أن تظهر كرامة بل كرامات فقد حكى أن أرضه عطشت فقام فتوضأ وخرج الى البرية فصلى ركعتين ثم دعا فالتئم السحاب وهطل المطر فلما سكن بعث بعض أهله ينظر أين بلغت السماء ؟ فنظر فلم تعد أرضه الا يســيرا وذلك فى الصيف •

وقد ذكر ابن عساكر من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم له الكثير مما تركنـــاه خوف الاطالة (تهذيب بن عساكر ترجمـــة أنس بن مالك) •

وأصح أسانيده ما رواه مالك عن الزهرى عنه وقيل حمـــاد ابن زيد عن ثابت البنانى عنه وقيل هشام الدستوائى عن قتادة عنـــه •

وأوهى الأسانيد اليه : داود بن المحبر عن قحدم عن أبيـــه عن أبان بن أبى عياش عنه •

عائشة أم المؤمنين

اسمها ونسبها : عائشة بنت أبى بكر الصديق عبد اللـــه بن عثمـــان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تميـــم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب •

وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية •

وكنيتها : أم عبد الله كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أختها عبد الله بن الزبير ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس • أم المؤمنين لقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وتقديرهن لا فى النسب والميراث وما الى ذلك من الآثار القانونية المترتبة على القرابة المباشرة •

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بها

فى صحيح البخارى: عن عائشة رضى الله عنها قالت: تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين) ودخل بها وهى بنت تسع سنين وكان دخوله بها فى شوال فى السنة الأولى وقيل الثانية من الهجرة • • • وعنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : أريتك فى المنام مرتين أرى أنك فى سرقة (١) من حرير ويقول • هذه امرأتك فأكشف فاذا هى أنت فأقول ان يك هذا من عند الله يمضه • • وعنها قالت : لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة • يا رسول الله • ألا تتزوج قال من •• قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت : ابنة أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبى بكر • قال فمن الثيب قالت : سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه ، قال : فاذهبى : فاذكريها على فجاءت فدخلت بيت أبى بكر فوجدت أم رومان أم عائشة فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة فقال أبو بكر هل تصلح له ؟ انما هى بنت أخيه

(١) قطعة .

فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعى اليه فقولى له أنت أخى فى الاسلام وأنا أخـوك وابنتك تصلح لى فأتت أبا بكر فقال أدع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فانكحه ـ وفى رواية البخارى : أتتنى أمى أم رومان وانى لفى أرجوحـة ومعى صواحب لى فصرخت بى فأتيتهـا لا أدرى ما تريد بى .. فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار وانى لأنهج حتى سكن بعض نفسى ثم أخـذت شيئا من مـاء فمسحت به وجهى ورأسى ثـم أدخلتنى الدار فاذا نسـوة من الأنصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خيرطائر فأسلمتنى اليهن فأصلحن من شأنى فلم يرعنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين .

وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : يا عائشة . هذا جبريل يقرئك السلام فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .ترى مالا أرى تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات النبى صلى الله عليه وسلم ولها نحو ثمانية عشر ربيعا بعد حياة حافلة اكتسبت فيها الكثير وقد حفظت عنه شيئا كثيرا حتى قيل : ان ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضى الله عنها .

علمها ومـكانتها فى الدعوة

جاءت امرأة من الإنصار تسأل رسول الله صلى اللـه عليه وسلم كيف نتطهر من الحيض فقال : خذى فرصـة من مسـك نتتبعى بها أثر الدم ثم تفهم فاستحيا رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأخذتها عائشة وعلمتها وسألها أبو سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف ما يوجب الغسل فقالت هل تدرى ما مثلك يا أبا سلمة ؟ مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ فيصرخ معها • اذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل • وأتاها أبو موسى الأشعرى فقال لها : لقد شق على اختلاف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى امر انى لأعظم أن أستقبلك به فقالت ما هو ؟ ما كنت سائلا عنه أمك فسلنى عنه فقال : الرجل يصيب أهله ثم يكسل ولا ينزل ؟ فقالت : اذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل • وسئلت هل يقبل الصائم فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم وكان أملككم لاربه (١) •

جهادها فى سبيل الله

كانت هى وأم سليم تملآن القرب فتفرغانها فى أفواه القوم ثم تعودان الى ملئها وهكذا يوم أحد • • وخرجت مع طلحة والزبير للقصاص من قتلة عثمان فلما ناقشها الصحابة أذعنت للحق وأرادت الرجوع فخاف القتلة من اتفاق الجيشين عليهما فأثاروا القتال وأعلنت ندمها على ذلك الخروج وقال عمار لمن خرج معها انى أعلم أنها زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة •

آثارها العلمية

روت عن النبى صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب وروت عن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبى وقاص وأسيد بن حضير

(١) حاجته

وجذامة بنت وهب وبلغت مروياتها ألفين ومائتين وعشرة وروى عنها من الصحابة : عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وزيد بن خالد وابن عباس والسائب بن يزيد وغيرهم ومن غير الصحابة أختها أم كلثوم وعوف بن الحارث والقاسم وعبد الله ابنا ٠٠ محمد بن أبي بكر وسعيد بن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمة بن قيس ومسروق وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو وائل وآخرون كثيرون وذكر فى الفتح الربانى جملة من فتاويها ج ٢٢ ص ١٢٨ ٠

وفاتهـا

أمرت أن تدفن بالبقيع ليلا واستأذن عليها ابن عباس وهى تموت فأذنت له بعد تردد وعندها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فدخل ثم سلم وجلس وقال : ابشرى يا أم المؤمنين فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذى ونصب وتلقى الأحبة محمدا وحزبه الا أن تفارق روحك جسدك فقالت : وأنت أيضا فقال : كنت أحب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وانزل الله براءتك من فوق سبع سماوات وسقطت قلادتك بالابواء فأنزل الله « فتيمموا صعيدا طيبا » فكان ذلك رخصة للناس عامة فى سببك فوالله انك لمباركة فقالت ٠ دعنى يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت أنى كنت نسيا منسيا ٠ ٠ ٠ وماتت فى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان

وخمسين من الهجرة وقيل سبع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة ونزل فى قبرها خمسة من أولاد أخيها محمد وأختها أسماء .

ثنـــاء العلماء عليها

قال حسان فى حقها بعد أن برأها الله وحد الرسول صلى الله عليه وسلم من قذفهـــا .

لقـــد ذاق عبد الله (١) ما كان أهلـــه
وحمنة اذ قـــالوا هجـــيرا ومسطـــح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهـــم
وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا
فـــآذوا رسول اللـــه فيها وعممـــوا
مخازى ســـوء خـــللوها وفضحـــو

وكان مروان اذا حدث عنها قال : حدثتنى الصديقـــة بنت الصديق حبيبة حبيب الله وقال عطاء : كانت أفقة الناس وأعلم وأحسن الناس رأيا فى العامة .

وقال أبو موسى الأشعرى . ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها فيـــه علما .

وقال الزهرى : لو جمع علمها الى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علمها أفضل وأقول المثل الأعلى للمرأة العربيـــة والأنثى المسلمة ضمت الى العلم العمـــل والى الأدب الشجاعة عاشرت الناس بلا تبذل وعلمت وعلمت بلا اسفاف وربت

(١) ابن ابى .

أجيالا وبنت رجالا لو اقتدت بها النساء لما كان انقسام بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون.رحمها الله رحمة واسعة ورزقنا اتباعها والاقتداء بآثارها الى يوم الدين .

عبد الله بن عباس

نسبه : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم النبى صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو العباس .

عناية النبى صلى الله عليه وسلم به

عن ابن عباس قال : حدثتنى أم الفضل بنت الحرث قالت : بينما أنا مارة والنبى صلى الله عليه وسلم فى الحجر فقال : يا أم الفضل قلت لبيك يا رسول اللـــه . قال انك حامل بغلام . قلت كيف وقد تحالفت قريش لا يولدون النساء . قال هو ما أقول لك فاذا وضعتيه فائتنى به فلما وضعته أتت النبى صلى الله عليـــه وسلم به فسماه عبد الله وألباه بريقه (صب ريقه فى فيه) ثم قال اذهبى به فلتجدينه كيسا قالت : فأتيت العباس فأخبرته فتبسم ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وكان رجلا جميلا مديد القامة فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قام اليه فقبل ما بين عينيه وأقعده عن يمينه ثم قال : هذا عمى فمن شـــاء فليباه بعمه فقال العباس بعض القول يا رسول الله قال ولم لا أقول وأنت عمـــى وبقية آبائى والعم والد .

كان ذلك بالشعب الذى حاصرت قريش فيه بنو هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل خمس وتلمح من هذه الرواية ما كانت

عليه العلامة بين النبى صلى اللـــه عليه وسلم وعمه العباس من توطد والتئام رغم بقاء العباس على دينـــه .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : تـــوفى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمس عشرة ورغم صغر سنه فانه استفاد من معاشرته للرسول صلى الله عليه وسلم الكثير مما رفع قدره وأعلى ذكره وأبقى أثره وساعد على ذلك أدبه الجم وأخـــلاقه الفاضلة فرغم تدليل الرسول صلى الله عليه وسلم له ولاخوتـــه فيما يرويه عبد الله بن الحرث قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله وكثير من بنى العباس ويقول من سبق الى فله كذا وكذا فيستبقون اليه فيقعون على ظهره وصدره فيلتزمهم ويقبلهم ـــ اذا بنا نلمح مظاهر هذا الأدب وتلك الأخلاق فيما يرويه لنا من مواقف مع الرسول صلى الله عليه وسلم فعنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من آخر الليل فقمت وراءه فأخذنى فأقامنى حذاءه فلما أقبـــل على صـــلاته انخنست (١) فلما انصرف قال مالك اجعلك حذائى فتخنس ؟ قلت: ما ينبغى لأحد أن يصلى حذائك وأنت رسول الله فأعجبه فدعـــا الله أن يزيدنى فهما وعلما .

وعنه قال : كان رسول اللـــه صلى اللـــه عليه وسلم فى بيت مأمونة (٢) فوضعت له وضوءا فقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه

(١) تأخـــرت .

(٢) بنت الحارث خالته زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

التأويل . . . وروى البخارى بسنده عنه قال : ضمنى النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة وفى رواية : علمه الكتاب . . .

طلبه العلم

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار هلم يافلان فلنطلب العلم فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء قال : عجبا لك يا ابن عباس : ترى الناس يحتاجون اليك وفى الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم . قال : فتركت ذاك وأقبلت أطلب . ان كان الحديث ليبلغنى عن الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتيه فأجلس ببابه فتسفى الريح على وجهى فيخرج الى فيقول : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك ؟ ما حاجتك ؟ فأقول حديث بلغنى عنك ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : ألا أرسلت الى ؟ فأقول . أنا أحق أن آتيك . . . قال : فبقى ذلك الرجل (الأنصارى) حتى ان الناس اجتمعوا على . فقال : هذا الفتى كان أعقل منى . . . ونلمح من ذلك أدبه الجم وتواضعه وتوقيره للعلم وبعد نظره وحرصه على طلب الحديث وعدم المبالاة بما يستتبع ذلك من جهد ومشقة .

كف بصره ونهاية حيـاته

عن ابن عبس قال: بعث العباس بعبد الله الى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فى حاجة فوجد معه رجلا فرجع ولم يكلمه فقال رأيته قال نعم قال : ذاك جبريل أما انه لن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علمـا .

وعن المسيب بن رافع قال : لما كف بصر ابن عباس أتاه رجل فقال له : انك ان صبرت لى سبعا (١) لم تصل الا مستلقيا تومىء ايماء داويتك فبرئت ان شاء الله تعالى فأرسل الى عائشة وأبى هريرة وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يقول أرأيت ان مت فى هذه السبع كيف تصنع بالصلاة ؟ فطرف عينه ولم يداوها ولعـل ذلك لكبر سنه واقتراب أجـله وأدركه الموت فى سنة ثمان وستين من الهجرة بعد أن عمر حياة مديـدة مباركة فوليه محمد بن الحنيفية فكبر عليه أربع تكبيرات وأدخله القبر من قبل رجليه وضرب عليه البناء ثلاثا وقال : مات اليـوم ربانى هذه الأمة . ودفن بالطائف .

كـرامتـه

واذا ما مالت القلوب الى ظهور دليل على القرب من اللـه والصلاح فى الدنيا والاخلاص فى العبادة يؤنس ويرشـد ويدل ويشهد فان ما روى عن سعيد بن جبير يعطينا هذا الدليل : قال سعيد بن جبير : مات بن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجـاء

(١) اى أيام .

طير لم يرد على خلقته ودخل نعشه فنظرناه وتأملناه هل يخرج فلم يرأته خرج من نعشه . . فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولا يدرى من تلاها « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » وما أصدق قـــول القائـــل :

اذا قال لم يترك مقالا لقائـــل
بملتفظات لا يرى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى الصدور فلم يدع
لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا
سموت الى العليا بغير مشقة
فنلت ذراها لا دنيا ولا وعلا

أولاده

ولد له عليا وهو سيد ولده وكان أجمـل قرشى على الأرض وأوسمه وأكثره صلاة ـــ وعباسا وهو أكبر ولده وبه كان يكنى ومحمد وعبيد الله والفضل ولا بقية للعباس وعبيد الله والفضل ومحمد بنى عبد الله بن عباس وهؤلاء من الذكـــور وولد له من الأناث لبابة واسماء ولهما أعقاب ـــ قاله الحاكم فى المستدرك .

ثنـــاء العلمـــاء عليـــه

عن مجاهد قال : كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمـــه

وعن ابن الحنيفية كان ابن عباس خير هذه الأمة وقال أبو بكرة : قدم علينا عبد الله بن عباس البصرة وما فى العرب مثله جسما وعلما وثيابا وجمالا وكمالا ، وعن عبد الملك بن ميسرة قال جالست سبعين أو ثمانين شيخا من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما أحد منهم خالف ابن عباس فيلتقيان الا قال : القول كما قلت أو قال صدقت . .

مناظراته مع الخوارج مشهورة (انظر مجمع الزوائد جـ ٩ ص ٢٧٨) .

وعن عمر بن عطاء قال : شهدت وفاة ابن عباس فوليه محمد ابن الحنيفية .... والذى حفظنا عنه نحوا من أربعمائة حديث.

أثره فى الحياة العلمية

لقد خلف بن عباس ثروة قيمة من الأحاديث المروية عن طريقة الآراء الاجتهادية النادرة والآثار المرشدة الملهمة والتف حوله أتباع ومريدون اغترفوا من فيضه ونهلوا من عذبه منهم : مجاهد بن جبير المكى مولى السائب بن أبى السائب وسعيد بن جبير بن هشام الأسدى ومكرمة البربرى المدنى وعطاء بن أبى رباح المكى وعمرو بن دينار وعبيد بن عمير وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وغيرهم .

ومن الصحابة : عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وأبو الطفيل وغيرهم من التابعين وأولاد الصحابة .

جـابر بن عبد الله الأنصـــارى

نسبه : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى ينتهى نسبه الى الخزرج وكنيته : أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو محمد •

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وعمر وعلى وأبى عبيدة وطلحة ومعاذ بن ياسر وخالد بن الوليد وأبى هريرة وأبى سعيد وأم شريك وأم مالك وأم مبشر من الصحابة وأم كلثوم بنت أبى بكر الصديق من التابعين •

وروى عنه أولاده عبد الرحمن وعقيل ومحمد وسـعيد بن المسيب ومحمود بن لبيد وأبو الزبير وعمرو بن دينار وأبو جعفر الباقر ومحمد بن المنكدر ووهب بن كيسان وسـعيد بن ميناء والحسن البصرى وسعيد بن أبى هلال وسليمان بن عتيق وعاصم ابن عمر بن قتادة والشعبى وعروة بن الزبير وعطاء بن أبى رباح•

مشـــاهده

أراد شهود بدر فخلفه أبوه على اخواته وكن تسعا وخلفه أيضا حين خرج الى أحد فلما قتل أبوه قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ أما ترضى أن أكون أنا أباك وعائشة أمك وشهد ما بعد ذلك من المشاهد •

شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصـار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها وكان أصغرهم يومئذ ••

مواقف مع الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد استشهد أبوه وترك له تسع أخوات وكان صغيرا أمام هذا العبء الكبير ولكن النبى صلى الله عليه وسلم واساه وأكرمه وساعده وشجعه .

روى مسلم فى صحيحه عن جابر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأبطأ بى جملى فأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر قلت نعم قال ما شأنك ؟ قلت أبطأ بى جملى فتخلفت فنزل فحجه بمحجته (ضربه بعصاه) ثم قال : اركب فركبت فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتزوجت ؟ قلت نعم قال بكرا أم ثيبا . قلت بل ثيب قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك قلت : أن لى أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن . قال أما انك قادم فاذا قدمت فالكيس الكيس ثم قال : أتبيعنى جملك؟ قلت نعم فاشتراه منى بأوقية ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمت بالغداة فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد فقال : الآن حين قدمت قلت نعم : قال فدع جملك وادخل فصل ركعتين . قال : فدخلت فصليت ثم رجعت فأمر بلالا أن يزن لى أوقية فوزن لى بلال فأرجح فى الميزان . قال : فانطلقت فلما وليت قال : ادع لى جابرا فدعيت فقلت الآن يرد على الجمل ولم يكن شىء أبغض الى منه فقال : خذ جملك ولك ثمنه . وفى رواية : أتبيعه بكذا وكذا والله يغفر لك مرتين :

وكان على أبيه دين ليهودى من خيبر فحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاءه الدين ووضع يده فى التمر فوفى بالدين وبقى منه ما يكفيهم المدة الطويلة .

وروى مالك فى الموطأ عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فبينما أنا جالس تحت شجرة اذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هلم الى الظل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت الى غزارة لنا فالتمست فيها شيئا فوجدت فيها جرو قثاء (واحدة القثاء الصغيرة أو الطويلة) فكسرته ثم قربته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أين لكم هذا ؟ فقلنا : خرجنا به يا رسول الله من المدينة قال جابر : وعندنا صاحب لنا نجهزه يذهب يرعى ظهرنا فجهزته ثم أدبر يذهب فى الظهر وعليه بردان له قد خلقا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال : أما له ثوبان غير هذين فقلت بلى يا رسول الله له ثوبان فى العبيبة كسوته اياهما فقال : فادعه فمره يلبسهما ثم ولى يذهب فقال : صلى الله عليه وسلم ماله ؟ ضرب الله عنقه أليس هذا خيرا له فسمعه الرجل فقال : يا رسول الله فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله فقتل الرجل فى سبيل الله .

لقد آثر جابر الرسول صلى الله عليه وسلم بالظل وقدم اليه القثاء مكسورا زيادة فى الأدب واجابه الرسول صلى الله عليه وسلم وسأله عن حال غلامه ليتعرف حاجته ويتبين حالته وذلك

يدل على مدى الارتباط الصادق بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم لأسر الشهداء ومساعدته الشباب على تحمل مسئولياته فى هذه الظروف .

ومع ثقل مسئوليات جابر فانه لم يدخر وسعا فى المساهمة بنفسه وماله فى سبيل الدين : روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال : لما حفر الخندق رأيت النبى صلى الله عليه وسلم خمصا (جوعا) شديدا فانكفيت الى امرأتى فقلت هل عندك شيء ؟ فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت الى جرابا فيه صاع من الشعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت الى فراغى وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك فصاح صلى الله عليه وسلم فقال : يا أهل الخندق ان جابر قد صنع سورا (صنيعا) محيهلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم للناس حتى جئت امرأتى فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذى قلت فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال : ادعى خابزه فلتخبزه معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف — فأقسم لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط (تفور) كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو .

ونلمح فى تلك المواقف أظهر صفات جابر رضى الله عنه وهى الجود والسخاء من ناحية والصبر على أعباء الحياة من ناحيـة أخـرى .

رواياتـه

من المكثرين فى الرواية روى عن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ألفا وخمسمائة وأربعين حديثا اتفق البخارى ومسلم منها على ستين حديثا وانفرد البخارى بستة وعشرين حديثا ومسلم بمائة وستة وعشرين حـديثا . . . وكانت له حلقة فى المسجـد ويؤخذ عنه فيها وهو ممن رحلوا فى طلب العلم فعنه قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشام فاذا عبد الله بن أنيس الانصارى فخرج الى فاعتنقته واعتنقنى ثم سمعت منه الحديث فى المظالم ورحل الى مصر أيام مسلمـة ابن مخـلد .

وفـاتـه

أرسل أبان بن عثمان الى أولاد جابر يقول : اذا مات أبوكم فلا تقبروه حتى أصلى عليه فلما مات جاء أبان فصلى عليه وكانت وفاته بسنة سبع وسبعين عن أربع وتسعين سنة وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة على الأصح .

وأصبح أسانيده ما يرويه سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار عن جابر وهو من طريق أهل مـكة .

أبو سعيد الخـــدرى

نسبه : سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر واسمه خدرة بن عوف بن الخزرج الأنصارى .

كنيته : أبو سعيـــد .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أبيه وأخيه لأمـــه قتادة بن النعمان وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وزيـــد بن ثابت وأبى قتادة الأنصارى وعبد الله بن سلام وأسيد بن خضير وابن عباس وأبى موسى الأشعرى ومعاوية وجابر بن عبد الله .

وروى عنه ابنه عبد الرحمن وزوجتـــه زينب بنت كعب بن عجرة وابن عباس وابن عمر وجابر وزيد بن ثابت ومحمـــود بن لبيد ... وسعيد بن المسيب وعامر بن سعد وعمـــرو بن سليم ونافع مولى ابن عمر وأبو نضرة العبـــدى وأبو سلمة ابن عبـــد الرحمن بن عوف وغيرهم .

مشاهـــده

عرضه أبوه على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ولـــه ثلاث عشرة سنة فجعل يأخذ بيده فيقول يا رسول الله : انه عبل العظـــام (ضخم أو كامل العظام) فجعـــل النبى صلى الله عليه وسلم يصعد فيه البصر ويصوبه ثم قال له ردِه فرده فلما حدث ما حدث فى أحد سمعوا بمصابه فجـــاء أبو سعيد مع غلمـــان من قبيلته ينتظرون سلامته فلما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم

قال سعد (١) قلت نعم بأبى أنت وأمى ودنوت منه فقبلت ركبتيه وهو على فرسه قال : آجرك الله فى أبيك فنظرت الى وجهه فاذا فى وجنتيه مثل موضع الدرهم فى كل وجنة واذا شجة فى جبهته واذا شفته السفلى تدمى واذا رباعيته اليمنى شظية واذا على جرحه شىء أسود فسأل عن ذلك فأخبروه فرجع الى أهله يخبرهم بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمدوا الله على ذلك وقاموا .

وشهد الخندق وما بعدها وهو ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا تأخذه فى الله لامة لائم . وورد المدائن فى زمان حذيفة وحارب مع على رضى الله عنهما الخوارج بالنهروان .

شجاعته

عنه أنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق اذا رآه أو علمه . . . قال : فقد حملنى ذلك على أن ركبت الى معاوية فقلت ما بالكم تأخذون الصدقة على غير وجهها ثم تضعونها فى غير أهلها ؟ فقال . مه يا أبا سعيد قلت فما بالكم تكون لكم الأولاد فتؤثرون بعضهم على بعض والله يوصيكم فى أولادكم : للذكر مثل حظ الانثيين ؟ قال فدعا كاتبه وكتب بها الى الآفاق ونهى عن ايثار الأولاد بعضهم على بعض .

(١) الحكاية لأبى سعيد .

مـــلامح من حياته

عنه قال استشهد أبى يوم أحد وتركنا بغير مال فأصابتنـــا حاجة شديدة فقالت لى أمى : أى بنى ! ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله لنا شيئا فجئت فسلمت وجلست وهو فى أصحابه جالس فاستقبلنى بقوله « انه من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه اللـــه • فقلت : ما يريد غيرى فانصرفت ولم أكلمه فى شىء فقالت لى أمى ما فعلت ؟ فأخبرتها الخبر فصبرنا اللـــه ورزقنا شيئا فبلغنا حتى ألحت علينا حاجة أشد منها فجئت لأسأل رسول اللـــه صلى اللـــه عليه وسلم وهو فى أصحابه جالس فاستقبلنى بالقول الأول وزاد فيه « ومن سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف » فقلت : الياقوتة ناقتى خير من أوقية فرجعت ولم أسأله فوالله ما رجعت الى نبى الله صلى الله عليه وسلم أسأله شيئا من الفاقة حتى مالت عينا الدنيا ففرقتنا أو غرقتنا الا من عصم اللـــه •

ودخل يوم الحرة غارا فدل عليه رجل من أهل الشام فلمـــا انتهى الشامى الى باب الغار قال لأبى سعيد : اخرج الى قال لا وان تدخل على أقتلك فدخل عليه الشامى فوضع أبو سعيد السيف وقال (انى أريد أن تبوأ باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جـــزاء الظالمين فقال : أنت أبـــو سعيد قال نعم : قـــال استغفرنى غفر اللـــه لك •

ودخل عليه نفر من أهل الشام فنتفوا لحيته وضربوه ونهبوا ما فى بيته حتى ان بعضهم أخذ زوج حمام وخرجوا •

رواياته ومنهجه فى الرواية

ورغم هموم عيشه وجدب حياته وثقل مسئولياته فقد كثر المروى عنه حتى جاوز الألف فقد نقل عنه أصحاب الحديث ألف ومائة وسبعون حديثا اتفق الشيخان منها على ستة وأربعين وانفرد البخارى بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين حديثا •

وكان يقول : تحدثوا فان الحديث يذكر بعضه بعضا ولم يكن أحد من أحداث الصحابة أفقه أكبر منه أو أعلم وكان دقيقا فى الحديث : حدث يوما بحديث فقال له رجل : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب غضبا شديدا ثم قال : أحدثكم بغير ما سمعت ؟ من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى له أو تبوأ مقعده من النار •

وكان يعلم الناس القرآن خمس آيات بالغدى وخمسا بالعشى •

وقيل له : انك تحدثنا بأحاديث معجبة وانا نخاف أن تزيد أو تنقص فلو كتبناها فقال لن تكتبوه ولن تجعلوه قرآنا ولكن احفظوا عنا كما حفظنا ثم قال مرة أخرى : خذوا كما أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وفـــاتـــه

عن عبـــد الرحمن ابنه قال : قـــال لى ابى انى كبرت وذهبه أصحابى وجماعتى فخذ بيدى فاتكأ على حتى جـــاء الى أقصى البقيـــع الى مكان لا يدفن فيه فقـــال يا بنى اذا أنا مت فادفنى ها هنا ولا تضرب على قسطاطا ولا تمشىّ معى بنار ولا تبـــكين على نائحة ولا تؤذن بى أحدا واســـلك بى طريقا غير مســـلوكة وليكن مشيك خببا فمات يوم الجمعة فكرهت أن أوذن الناس لما كان نهانى فيأتونى فيقولون متى تخرجوه فأقول : اذا فرغت من جهازه أخرجه قال فامتلأ على البقيع بالناس .

وعن رجاء بن ربيعة قال كنا عند أبى سعيد فى مرضه الذى توفى فيه وهو ثقيل فأغمى عليه فلما أفاق قلنا : الصلاة يا أبـــا سعيد . . قال كفانى ما قد صليت ثم أرسل خلف نفر من الصحابة وقال لايغلبنكم ولد أبى سعيد:اذا أنا مت فكفنونى فى ثيابى التى كنت أصلىفيها وأذكر الله فيها وفى البيت قبطية فكفنونى فيها الى آخر وصيته وفيها ولا تتبعنى باكية واذا حملتمونى فاسرعوا بى فلما خرجوا بجنازته امتلأ البقيع ناسا .

وكانت وفاته سنة أربع وسبعين من الهجرة بعد حياة مديدة اختلط فيها العلم بالعمل والجهاد بالراحة والفقر بالغنى والصبر بالشكر وشملها مع كل ذلك ايمان عميق وصدق خالص وســـلوك نموذجى رحم الله أبا سعيد ووفقنا الى اتباع آثاره هو واخوانه من الصحابة رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك هم المفلحون .

ثانيـــا :

أئمة الحديث النبوى

من العلمـــاء التابعين وتابعيهم

— ١ —
الامـــام مـــالك

من أهم الشخصيات الاسلامية فى طبقته امام دار الهجـرة (المدينة المنورة) وأحد الأئمة الأربعة المشهورين ، فقد كان الامام مالك مجتهدا فى اطار الكتاب والسنة وأقره علماء عصره ومن بعد عصره على سلامة ذوقه وصحة استخراجه ومتانة اجتهاده ونزاهة نظرته فاستحقت آراؤه المتابعة واستحق اسمه الخلود .

انتهت اليه الامامة فى الحجاز فى الفقه والحديث وتتلمذ عليه من العلماء خيارهم وقابل أبا حنيفة وناظره وأثنى كل منهما على الآخر واعترف كل منهما بفضل أخيه .

نســـبه :

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو ابن الحارث . ينتهى نسبه الى عمرو بن الحـارث ذى اصـبع الحميرى من ملوك اليمن العربى الصريح .

مولـــده :

ولد فى ربيـــع الأول سنة ثلاث وتســعين من الهجرة على الراجح ، وكان أبوه أنس راوية للحديث ، وكان مقعدا يحترف صناعة النبل .

نشـــأته :

بدأ مالك يطلب العلم صغيرا تحت تأثير البيئة التى نشأ فيها

وتبعا لتوجيه أمه له فقد حكى أنه كان يريد أن يتعلم الغنـــاء فوجهته الى طلب العلم • يقول مالك : حينما بلغت سن التعليم عممتنى وقالت : اذهب فاكتب (تريد الحديث) ــ ولعلها كانت تريد أن تسترجع فيه علم جده مالك فقد كان من كبار التابعين روى عن كثير من الصحـــابة وكان ثقـــة وهو أحد الذين كتبوا المصحف الشريف فى عهد عثمان رضى الله عنه ، أو تتوسم فيـــه أن يكون كأحد الشيوخ بالمدينة ممن يشار اليهم بالبنان •

وانطلق يلتمس العلم فأحبه من صغره وحرص على جمعه وتفرغ له ولازم العلماء وحمل عنهم العلم والعمل• ولعل أشدهم أثرا فى تكوين عقليته العلمية التى عرف بها هو : أبو بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز المتوفى سنة ١٤٨ هـ فقد روى عن مـــالك أنه قال : كنت آتى ابن هرمز من بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل• يقضى معه اليوم كله من الصباح الى المساء سبع سنـــوات أو ثمانى ، وكان ابن هرمز يجله ويخصه بما لا يخص به غيره لكثرة ملازمته له ولما ربط بينهما من حب وتآلف ووداد • وابن هرمز هذا هو العالم الثائر الجرىء الذى خرج مع محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الذكية ضد أبى جعفر المنصور وحمل ســـلاحه وحارب فلما خمدت الثورة وأوقف أمام الوالى ســـأله عن سبب خروجه فقال : فتنة شملت الناس فشملتنا فيهم ، فتركه الوالى لمكانه ومكانته عند الناس •

وأخذ عن الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى وهو أول

من دون الحديث ومن أشهر شيوخ المدينة وقد روى عنه مالك فى موطئه مائة واثنين وثلاثين حديثا بعضها مرسل .

وكذلك روى مالك عن نافع مولى ابن عمر .

وأخذ عن جعفر الصادق الامام الشيعى من آل البيت وأخرج له فى الموطأ تسعة أحاديث منها خمسة متصلة مسندة أصلها حديث واحد طويل هو حديث جابر فى الحج والأربعة منقطعة .

وروى عن شيوخ كثيرين منهم هشام بن عروة ومحمد ابن المنكدر ويحيى بن سعيد الأنصارى وسعيد بن أبى سعيد المقبرى وغيرهم ، وقد بلغ عدد شيوخه على ماقيل ثلثمائة من التابعين وستمائة من أتباعهم .

وكان الامام قوى الحافظة .

وكان جيد التحرى فى رواية الحديث مدققا فى ذلك كل التدقيق لا ينقل الا عن الأثبات الثقات ولا يغتر بمظهر الراوى أو هيئته الصالحة .

روى مسلم فى مقدمة صحيحه عن يحيى بن سعيد قال : سألت سفيان الثورى وشعبة ومالكا وابن عيينة عن الرجل لايكون ثبتا فى الحديث فيأتينى الرجل فيسألنى عنه قالوا : أخبر عنه أنه ليس بثبت .

وقال مالك : « لقد أدركت فى هذا المسجد (مسجد المدينة) سبعين ممن يقول : قال فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فما أخذت عنهم شيئا ، وأن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا عليه الا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن » .

وقال : « قدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه » .

وقال عن نفسه : ربما وردت على المسألة فأسهر فيها عامة ليلتى .

ولقد بهر مالك أساتذته كما بهر أقرانه بمواهبه الفطرية وجهاده الدائب وشغفه الشديد بالعلم وتأدبه مع العلم والمعلمين ودقته وتحريه فيما يقبل وفيما يظهر من العلم .

رحلاته :

لم يرحل فى طلب الحديث مع أن الرحلة فى ذلك الوقت كانت من السمات المميزة لرجال الحديث ، ولعله كان يعتقد أن العلم علم أهل المدينة . قال الليث بن سعد : « وأن الناس تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن » .

على أنه لم يخسر بعدم الرحلة شيئا .. لقد كانت المدينة ملاذ العلماء ولم يخل محدث ممن رحلوا من المرور بها لزيارة القبر الشريف ولتلمس العلم من مكانه والحديث من مصدره فالتقى مالك بأكثرهم واستفاد منهم .

احترامه للحديث وصاحب الحديث صلى الله عليه وسلم :

وكان الامام مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وسرح لحيته وجلس متمكنا فى جلوسه على صدر فراشه فى وقار وهيبة ،

وحدث • فقيل له فى ذلك ؟ فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث الا على طهارة متمكنا • وكان يكره أن يحدث فى الطريق أو وهو قائم أو يستعجل •

وقال : أحب أن أفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وعن ابن المبارك : كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلدغته حشرة كالعقرب ست عشرة مرة، ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع الحديث ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له : لقد رأيت منك عجبا ؟ فقال : نعم، انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وكان يتتبع الآثار النبوية ويميل الى الأخذ برأى أهل المدينة ويتجنب أصحاب الأهواء وأهل النسرق ويأبى كل الاباء أى انحراف عن الدين •

فالدين فى نظره واحد لا يتغير ويتمثل فى الأخذ بكتاب الله الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما قال به الخلفاء الراشدون ، وما رواه الصحابة وأهل العلم والتقى من علماء المدينة •

ولقد كان هذا الاحترام للحديث ولصاحبه نابعا من اعتزاز منه بما أنعم الله عليه من العلم ولعل فى موقفه من الخلفاء ما يدل على ذلك أبلغ دلالة : فقد روى أن هارون الرشيد وهو خليفة المسلمين زار مالكا فى بيته ومعه بنوه ورغب اليه أن يقرأ عليهم

الموطأ . فقال مالك : ما قرأت على أحد من زمان ، وانما يقرأ علي! فقال هارون : أخرج الناس عني حتى أقرأ أنا عليك ، فقال مالك: اذا منع العام لبعض الخاص لم ينتفع الخـاص . وأمر معن بن عيسى أن يقـرأ فقرأ . . فلم يجـد الرشيـد بدا من النزول على رأى مالك .

وروى عبد الله بن وهب قال : سمعت مالكا يقول : « دخلت على أبي جعفر المنصور فرأيت غير واحد من بني هاشم يقبـل يده المرتين والثلاث ورزقني الله العافية فلم أقبل له يدا » .

ولما قدم المهدى المدينة بعث الى مالك بألفي دينار ، وقيـل بثلاثة آلاف ثم أتاه الربيع فقـال : ان أمـير المؤمنين يحب أن تصاحبه الى دار السلام — بغداد — فقال له : قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم : « والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

من صفاته الفاضلة وأخلاقه السامية :

كان جوادا كريما سمح المحيـا وكان مهيبا نبيـلا محترم المجلس والجلساء حازما فى الدفاع عن الحق يكره الجدال واللغط ورفع الصوت خاصة فى مجلس الحديث ، ومن كلماته :

« الدنو من الباطل هلكة ، والقول بالبـاطل بعد عن الحق ، ولا خير فى شيء وان كثر من الدنيا بفساد دين المرء ومرءته » . ومع تواضعه الفائق وهضمـه لذاته ، كان لا يهاب السـلاطين ويرسم للعامة طريق المصارحة بالحق معهم .

ناظره أبو جعفر المنصور فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فرفع صوته فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقـــال : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » ، ومدح أقواما فقال : « ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقـــوى » .

ولما قدم الخليفة المهدى المدينة أقبل الناس عليه مسلمين ، فلما أخذوا مجالسهم جاء مالك فقالوا : اليوم يجلس مالك آخر الناس . فلما دنا ونظر ازدحام الناس وقف وقال : يا أمير . . أين يجلس شيخك مالك ؟ فناداه المهدى : عندى يا أبا عبد الله . فتخطى الناس حتى وصـــل اليه . فرفع المهـــدى ركبته اليمنى وأجلسه بجانبه .

وهو فى ذلك يصدر عن فهم واسع وخبرة عميقـــة واحترام للعلم دفعه الى احترام نفسه فى مثل هذا الجمع .

وفـــــاته :

وبعد حياة عريضـــة حافلة توفى رحمه الله فى ربيـــع الأول سنة ١٧٩هـ (تسع وسبعين ومائة) عن خمس وثمـــانين ســـنة قضاها فى خدمة العلم والدين وأعطى صورة للعالم العامل وصلى عليه أمير المدينة عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسى وشيـــع جنازته واشترك فى حمل نعشه ودفن فى البقيع . رضى الله عنه وأرضـــــاه .

آثـــــاره :

وكفل العلماء الأجلاء ترك الامام مالك آثارا حافـلة تمثلت فى تلك النخبة من تلاميذه وحملة علمه • فقد روى عنه كثـيرون منهم الامام أبو حنيفة وقد روى عنه حديثان فى جامع مسانيده الذى جمعه الخوارزمى ومنهم الامام الشافعى ومحمد بن الحسن وله رواية للموطأ وابن المبارك ويحيى بن سعيد القطان وكثيرون من شيوخ البخارى ومسلم وأئمة الحديث • وقد روى عنه من شيوخه الامام الجليل الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى •

ومن أجل آثاره كتابه الخالد « الموطأ » •

وهو الكتاب الذى طبقت شهرته الآفاق واعترف الأئمـة له بالامامة والسبق على كل كتب الحديث فى عهده وبعد عهـده الى عهد الامام البخارى • قال الامام الشافعى : ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، وفى رواية أكثر صوابا وفى رواية أنفع •

وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى :

الموطأ هو الأصل واللباب وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى •

وعدد أحاديث الموطأ كما قال أبو بكر الأبهرى : « جملة ما فى الموطأ من الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابـة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثا المسنـد منها ستمائـة

حديث والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثا والموقوف ستمائة وثلاثة عشر ، ومن قول التابعين مائتان وخمسة وثمانون » • وقد ورد غير ذلك فى عدده •

وقد عنى العلماء بشرح موطـــأ مالك رواية يحيى بن يحيى المصمودى الأندلسى حتى بلغت شروحه مائة وصار الأمر كما قال القاضى عياض : لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ • وأهم هذه الشروح : التمهيد للحافظ أبو عمر بن عبد البر رتبه على أسماء شيوخ مالك وهو كتاب فى عشرين جزءا مدحه ابن حزم رغم تهجمه على العلماء •

— ٢ —
الامـــام أحمد

امام جليل طبقت شهرته الآفاق ، وأجمع الكل على احترامه، دافع عن الدين دفاع الأبطال ولم تأخذه فى الله لومة لائم •

انه الامام الجليل : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى أبو عبد الله المرزوى ثم البغدادى • ساق البيهقـــى نسبه الى ابراهيم الخليل عليه الســـلام ـــ فهو عربى من العرب الخلص ومع ذلك لم يتعصب لعربيته ولم يفتخر بها • قـــال ابن معين : « ما رأيت خيرا من أحمد ما افتخر علينا بالعربية قط » • وقال محمد بن الفضل السدوسى الملقب بعارم : قلت لأحمد يوما: بلغنى أنك من العرب فقال : يا أبا النعمان نحن قوم مساكين •

قدم به أبوه من مرو وهو حمل فى بطن أمه فوضعته أمه فى بغداد فى ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكلفته أمه يقول أحمد: فثقبت أذنى وجعلت فيها لؤلؤتين فلما كبرت دفعتهما الى فبعتهما بثلاثين درهما •

توجه فى حداثته الى دراسة الفقه فى مجلس القـــاضى أبى يوسف ثم ترك ذلك وتوجه الى سماع الحديث فكان أول طلبـــه له وسماعه اياه من مشايخه سنة تسع وثمانين ومائة وقد بلغ من العمر ستعشرة سنة وخرج الى الحج لأول مرة سنةسبع وثمانين ومائة ثم خرج اليه مرة ثانية سنة احدى وتسعين ثم سنة ست وتسعين وجاور فى سنة سبع وتسعين ثم حج فى سنة ثمان وتسعين

وجاور الى سنة تسع وتسعين وسافر الى اليمن فقابل عبد الرزاق الصنعانى فكتب عنـــه .

قال أحمد : حججت خمس حجج ، منها ثلاث راجلا ، أنفقت فى أحدى هذه الحجج ثلاثين درهما . ولقد ضللت فى بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول يا عباد الله دلونى على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق .

وكان رحمه الله فقيرا فى المال غنيا فى النفس قال عن نفسه : خرجت الى الكوفة فكنت فى بيت تحت رأسى لبنة ولو كان عندى تسعون درهما لرحلت الى جرير بن عبد الحميد بالرى ، ولقـد خرج بعض أصحابنا ولم يمكنى الخروج لأنه لم يكن عند شىء . ولعل حجه ماشيا أنما كان لهذا العـــذر .

وعن الشافعى قال : وعدنى أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر فلم يقدم . قال ابن أبى حاتم : يشبه أن تكون خفة ذات اليـــد منعته من أن يفى بالعـــدة .

ورغـــم نشأته فى بغداد ـــ بلد الخـــلافة والعلم والحضارة والمدنية المتقدمة فى ذلك الوقت ـــ لم يكتف بما لقى فيها من كبار العلماء واجلة الحفاظ مقيمين ووافدين بل رحل الى بلاد العالم الاسلامى يستنشق عبير العلم ويتغذى بلبانه ويتيح لنفسه فرصة المقارنة بين مختلف المدارس والبيئات فرحل الى الكوفة حـــوالى سنة ١٨٣هـ ، والى البصرة سنة ١٨٦هـ والى مكة والمدينة وجاور بهما بعض الوقت كما قدمنا والى اليمن والشام والعراق .

شيوخه وثناء الأئمة عليه :

سمع من كثرين وروى عن عدد وفير من العلماء والحفاظ فروى عن بشر بن المفضل واسماعيل بن علي وسفيان بن عيينة وجرير بن عبد الحميد ويحيى بن سعيد القطان وأبى داود الطيالسى والشافعى • وقد ذكر أحمد فى المسند وغيره الرواية عن الشافعى وأخذ عنه جملة من كلامه فى انساب قريش وأخذ من الفقه ما هو مشهور حتى انه لما توفى وجدوا فى تركته رسالتى الشافعى القديمة والجديدة • وقد بلغ ما رواه أحمد عن الشافعى من الأحاديث حوالى عشرين حديثا وكان الشافعي يقدره ويحترمه ويجله فقد قال له لما أجتمع به فى الرحلة الثانية الى بغداد سنة ١٩٠ هـ : يا أبا عبد الله ! • • اذا صح عندكم الحديث فأعلمنى به أذهب اليه حجازيا كان أو شاميا أو عراقيا أو يمنيا • • وهو قول يبين مدى ثقة الشافعى فى مكانة أحمد الحديثية وتفوقه فى ذلك على أقرانه وقد اثنى عليه كثير من الأئمة المتقدمين غير الشافعى•

فعن أبى اليمان قال : كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطأة بن المنذر • وعن أحمد بن سليمان الواسطى قال : ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل وكان يزيد يقعده الى جنبه اذا حدث ولما مرض أحمد ذات مرة ركب اليه يزيد وعاده — ولما مات أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج بحمص بالشام قدم كبار علمائها أحمد بن حنبل وهو شاب للصلاة عليه تقديرا منهم لمكانته وعلمه وقياما بحق الأدب نحوه • وقال يحيى

ابن معين وهو أحد الذين حفظوا السنة من الدخيل : أراد الناس أن أكون مثل أحمد بن حنبل ، لا والله ما أكون مثل أحمد أبدا ، وقال البخارى : لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول : لو كان أحمد فى بنى اسرائيل لكان أحدوثة .. وقال اسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد فى بنى اسرائيل لكان نبيا . وقال المزنى : أحمد بن حنبل يوم المحنة وأبو بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وعلى يوم الجمل وصفين أى أقاموا الدين وحموه وحرسوه وحفظوه فقرن موقفه بموقف هؤلاء . وقال الشافعى : خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من ابن حنبل.

محنة الامام :

طلب المأمون من الناس القول بخلق القرآن ولم يكتف باعتقاد ذلك بل حاول فرضه بالقوة وكلف نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم ابن مصعب بذلك . فاستدعى جماعة من أئمة الحديث ودعاهم الى ذلك فامتنعوا فتهددهم بالضرب والمضايقة وقطع الأرزاق عنهم فأجاب أكثرهم مكرهين أخذا بالرخصة التى فتحها الله للمكره قال تعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » . وفى الحديث « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

ولم يمتنع من ذلك الا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فحملا مقيدين على بعير وهددا بالقتل ومات المأمون فردوهما الى بغداد مع بعض الأسارى ومات ابن نوح بالطريق فانفرد الامام

بالمعارضة — وأودع السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهرا أو نيفا وثلاثين شهرا ثم أخرج الى الضرب بين يدى المعتصم وكان يصلى فى السجن بمن فيه وهو مقيد من رجليه . ولما خرج الى المعتصم مكنه من مناظرة خصومه فطلب أحمد على القول بخلق القرآن دليلا من القرآن أو السنة وبين أنه لا يقول الا بهما وأن الاسلام قام عليهما ولكن خصومه يئسوا من التغلب عليه وهيجوا عليه الخليفة وخوفوه من تعلق الناس به وكبر على الخليفة أن يمتنع أحمد عن اجابته ولو ظاهرا لئلا تذوب الفكرة بعد طول تثبيت فى قلوب الناس فأمر بضربه وسحبه وأقاموه على كرسى ، وظلوا يضربونه بالسياط حتى أغمى عليه مرارا يدعونه كلما افاق الى الاستجابة فيأبى حتى يئسوا منه وخافوا من الفتنة بقتله فأطلقوا سراحه وأخرجوه من سجنه الى أهله ودووى مما أصابه حتى شفى وسأل لكل من آذاه العافية الا أهل البدع .

حكى البيهقى عن أحمد بن حنبل قال : « اللفظ محدث واستدل بقوله : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) فاللفظ كلام الآدميين » — وقال أيضا : القرآن كيفما تصرف فيه غير مخلوق وأما أفعالنا فهى مخلوقة » . وهذا ما قرره البخارى فى أفعال العباد وذكره فى الصحيح مستدلا بحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم » ولهذا قال غير واحد من الأئمة : الكلام كلام البارى والصوت صوت القارىء .

هذه هى المحنة التى رفعت اسم أحمد عاليا وشهرت ذكره

ورفعت قدره بين أهل عصره حيث باع نفسه فى سبيل الله فكان أله أملا وصبره عزا وكلل الله جهاده بالنصر والفخار .

ولما خلص من المحنة لزم منزله لا يخرج منه لجمعة ولا جماعة وامتنع من التحديث واكتفى بايراده من ملك له يدر سبعة عشر درهما فى الشهر ينفقها على عياله صابرا محتسبا . فلما ولى المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته وكان الفرج على يديه فمنع القول بخلق القرآن واستدعى نائبه الامام أحمد اليه وأكرمه وعظمه وحدث ما منع لقاءهما ثم استدعاه الخليفة مرة ثانية فامتنع عن ذلك لمرضه فألح عليه فاستجاب وامتنع عن قبول مظاهر الملك واكرام الخلافة واكتفى بالصيام وشرب السويق وأقام على مضض حتى أذن له الخليفة بالعودة الى داره . وتوفى رحمه الله يوم الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول من سنة احدى وأربعين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله — وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله لا يعلم عددهم الا الله ، حتى لقد قيل ان من حضر جنازته كانوا ألف ألف وثلثمائة ألف أو سبعمائة ألف أى ما يقرب من مليونين من البشر . قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أن جمعا فى الجاهلية ولا فى الاسلام اجتمعوا فى جنازة أكثر من الجمع الذى اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل .

منهجه فى الحديث وأثره فيه :

كان بارع الفهم لمعرفة الحديث صحيحه وسقيمه حتى لقد

تعلم الشافعي منه أشـياء من معرفة الحديث وكان الشـافعي يسأله حديث كذا وكذا قوى الاسناد محفوظ ؟ فاذا قال أحمد : نعم ، جعله أصلا وبنى عليـه • وكان الامام يتشدد فى قبـول أحاديث الأحكام ويتساهل فى أحاديث الفضائل فقد روى عنـه قال : نحن اذا روينا فى الحلال والحرام شـددنا واذا روينا فى الفضائل تساهلنا • وكان يأخذ بما فيه ضعف قريب محتمل يزول بتعدد الطرق وهو الحسن لغـيره فيها وكان يقـدم السنن على أقوال الرجـال ويود أن يكون الفقه مبنيا على النقـل قبل أى اجتهـاد ـ قال أبو زرعة الرازى : كان أحمـد يحفظ ألف ألف حديث فقيل له ما يدريك ؟ قال : أخـذت عليه الأبواب ـ وقال الخليلى : كان أفقه أقرانه وأورعهم وأكفهم عن الكلام فى المحدثين الا فى الاضطرار ـ وهذا أدب زائد منه •

ومن أشهر آثاره مسنده فى الحديث ذلك الـكتاب الخـالد أبو السنن وأكبر المراجع فى مجال السنة من كتب أئمة الحديث التى كتب لها البقـاء •

مسنـد الامـام أحمـد :

سمى بالمسند لأنه يقوم على جمع أحاديث كل صحابى على حدة دون نظر الى موضوع الحديث وهذا هو المسند فى اصطلاح المحدثين • وقد رتبه على حسب فضل الصـحابة فبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ثم من بعدهم وقد شهـد له المحدثون قديمـا

وحديثا بأنه أجمع كتب السنة للحديث وأوعاها لكل ما يحتاج اليه المسلم فى أمر دينه ودنياه • قال أحمد عن مسنده : عملت هذا الكتاب اماما اذا اختلف الناس فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع اليه • وقد انتقاه من ألوف الأحاديث التى كان يحفظها حتى لقد قيل انه انتقاه من سبعمائة وخمسين ألف حديث ••

وقد اشتمل المسند على أربعين ألف حديث بالمكرر وثلاثين ألفا من غير المكرر ومع ذلك لم يستوعب كل الأحاديث ، قال ابن كثير : لا يوازى مسند أحمد كتاب مسند فى كثرته وحسن سياقاته وقد فاته أحاديث كثيرة جدا بل قيل : « انه لم يقع له جماعة من الصحابة الذين فى الصحيحين قريبا من المائتين » ولكنه أكبر جهد بذله عالم فى مجال السنة وجمعها والعناية بها •

والمسند الذى بأيدينا اليوم ليس كله من رواية الامام أحمد ولكن أضاف اليه ابنه عبد الله زيادات ليست من رواية أبيه وكذلك فعل الامام أبو بكر القطيعى راوى المسند عن عبد الله بن أحمد • قال الشيخ أحمد الساعاتى : « بتتبعى لأحاديث المسند وجدتها تنقسم الى ستة أقسام :

١ ــ قسم رواه عبد الله بن أحمد سماعا من أبيه وهو المسمى بمسند الامام أحمد وهو كبير جدا يزيد على ثلاثة أرباع الكتاب•

٢ ــ قسم سمعه عبد الله من أبيه ومن غيره وهو قليل جدا•

٣ ــ قسم رواه عن غير أبيه وهو المسمى بزوائد عبد الله وهو كثير بالنسبة لما عدا القسم الأول .

٤ ــ قسم قرأه على أبيه ولم يسمعه منه وهو قليل .

٥ ــ قسم وجده فى كتاب أبيه بخط يده .

٦ ــ قسم رواه الامام أبو بكر القطيعى عن غير عبد الله وأبيه رحمهما الله تعالى وهو أقل الجميع .

وكل هذه الأقسام من المسند الا زيادات عبد الله وزيادات القطيعى (القسم الثالث والسادس) وقد امتاز مسند أحمد بثلاثياته وهى الأحاديث التى ليس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فيها الا ثلاثة رواه وتزيد هذه الأحاديث فى المسند عن ثلاثمائة حديث . وقد جمع الامام مسانيد كثيرة من الصحابة قال أبو موسى المدينى : أما عدد الصحابة فيه فنحو سبعمائة رجل ومائة ونيف امرأة وبلغ عدد شيوخه الذين روى عنهم فيه مائتين وثلاثة وثمانين رجلا .

وبعد : فما زال مسند الامام أحمد مدرسة كبيرة ومجالا واسعا لفرسان الحديث نقدا واستخراجا وشرحا وتعليقا الى اليوم . .

— ٣ —

الامـــام البخـــارى

لا أحد فى العالم الاسلامى يجهل شخصية الامام البخارى وما قدم للعالم الاسلامى من خدمات ، فماذا قـــدم ؟ ومن هو هذا الرجل اللامع الاسم الذائع الصيت ؟

نســـــبه :

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغـــيرة بن بردزبة الجعفى ولاء البخارى مولدا شرف الله جـــده المغـــيرة بالاسلام على يد اليمان الجعفى والى بخارى فانتمى اليه بولاء الاسلام وسرى منه هذا الولاء الى ذريته جيلا بعد جيل ومنهم الامام البخـــارى .

وبخارى مدينة من أعظم مدن ما وراء النهر « نهر جيحون » وهى الآن تحت النفوذ السوفيتى بولاية أزبكستان فى آســـيا الوســـطى .

مـــولده :

ولد رحمه الله ببخارى لثلاث عشرة ليلة خلت من شـــوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة (١٩٤ هـ) فى بيت مبـــارك بالعلم معطر بالتقوى فقد كان أبوه اسماعيل من العلماء العاملين والنبلاء الورعين قابل مالكا وابن المبارك وحدث عن جماعة من

مشاهير المحدثين وحدث عنه بعض العراقيين وشهد له كثيرون بالصدق والوثوق وكان الى جانب علمه وتقواه كثير المال الخالص الحـــــلال .

واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن اسماعيل البخارى فقرت به عينا والديه ثم ما لبث الوالد أن توفى وتركه يتيما فى ظل والدته التقية تحبوه بعطفها وتستلهم السبيل القويم لتربيته .

عصر البخـــارى :

ولد البخارى فى عصر راجت فيه سوق الحديث وانتصرت مدرسته بعد صراع عنيف مع المبتدعة برز فيه دور الامام أحمد ابن حنبل واستمر فى عهد المأمون والمعتصم والواثق حتى ختمه المتوكل على الله بن المعتصـــم برفع المحنـــة عن أهـــل الحديث والوقوف ضد المبتدعة وهو صراع امتد من سنة ٢١٢ هـ فى عهـــد المأمون الى سنة ٢٣٢ هـ فى عهد المتوكل ، أى عشرين عاما كاملة ـــ وككل معارك الفكر لم يكن الجمهور بعيدا عن الصراع وكان ميل أهل التقوى مع المحدثين طوال المحنة فلما زالت عنهم زاد الميل اليهم وكثر جمهورهم .

من هنا كان توجه والدته فى تربيتها له الى مجـــال العـــلوم الدينية والحديث على وجه الخصوص أضف الى ذلك ما كان عليه الوالد من طلب العلم وبذل التعليم وبالجملة كان البيت تفـــوح

منه رائحة العلم الزكية وتهب عليه نسائم العلم التى تملأ جو الشرق الاسلامى فى ذلك الوقت .

ولقد هيأ الله للامام البخارى وسائل الرفعة وآيات الارتقاء فظهرت عليه مخايل الذكاء والنجابة فى صغره بصورة واضحة نادرة فحفظ القرآن وبدأ يحفظ الحديث وهو فى سن العاشرة . قال محمد بن أبى حاتم الوراق : قلت لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟ قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب . قلت : كم أتى عليك اذ ذاك ؟ قال : عشر سنين .

وما ان جاوز العاشرة ودخل فى سن الحادية عشرة حتى ترك الكتاب وانصرف الى مدارس الحديث فى دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقلا وقادا وذاكرة واعية وخلقا كريما فاكتسب بذلك ثقة مكنته من التحصيل ودفعته لأن يقف وهو فى سن مبكرة ليصحح ما أخطأ فيه أستاذ من عمالقة الحديث وهو : استاذه « الداخلى » — ويدخل معه فى مناقشة علمية انتهت بتسليم استاذه له واعترافه بصحة ما قال به البخارى عن ذلك فيقول ثم خرجت من الكتاب بعد العشر اختلف الى الداخلى وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ على الناس « سفيان عن أبى الزبير « المكى » على ابراهيم النخعى . فقلت له : يا أبا فلان ان أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرنى . فقلت له : ارجع الى الأصل ان كان عندك فدخل ونظر فيه ثم خرج وقال : كيف هو ياغلام ؟ فقلت

هو الزبير بن عدى عن ابراهيم فأخذ القلم منى وأحكم كتابه فقال صدقت — فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟ قال : ابن احدى عشرة سنة •

واستمر الفتى النابه يطرد تقدمه وينمو ذكاؤه ويتكاثر علمه ويلمع نجمه حتى لفت اليه أنظار أقرانه وأساتذته فلما بلغ السادسة عشرة من عمره حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران فى عالم الحديث •

رحلة البخارى فى طلب الحديث :

لم يشبع قطر البخارى نهمه ولم يحقق حاجته فرحل عنه بعد أن أتى على ما فيه من علم وخبر ما فيه من علماء فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله • جامعا لكل ما يمكن منه متعرفا على كل ما يدور فيه وحوله • وبدأ رحلته المباركة بمكة المكرمة مهبط الوحى ومنبت الرسالة وفى موسم الحج لتأدية فريضة الحج واستصحب معه السيدة التى ربته والأم التى رعته وأخاه أحمد الذى يكبره سنا وكان ذلك سنة ٢١٦ هـ •

ملامح من صفاته الرشيدة :

كان البخارى لا يجهل مكانته وحب الناس له فآثر أن لا يترك مجالا يمكن أن ينفذ منه هذا الحب كأثر مادى فى حياته • فقد حكم « وراقه » أنه سمعه يقول : ما توليت شراء شىء قط ولا بيعه كنت آمر انسانا فيشترى لى فيأ له ولم ؟ قال لما فيه

من الزيادة والنقصان والتخليط ، وخرج يوما الى أحد شيوخه فتأخرت نفقته فجعل يتناول حشيش الأرض ولا يسأل أحدا شيئا حتى وصل اليه المال . وكان غاية فى الحياء والكرم والسخاء والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة وكان له مال كثير ينفق منه سرا وجهرا لا سيما فى طلب العلم وعلى طلبته وقد قال عن نفسه: كنت استغل فى كل شهر خمسمائة درهم فأنفقها فى الطلب وما عند الله خير وأبقى .. وكان دائم المراقبة لله تعالى فى حركاته وسكناته وكل أموره ، حكى أنه استلقى بفربر فى تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم فى التخريج فقال له رواقه : انى سمعتك تقول ما أتيت شيئا بغير علم فما الفائدة فى الاستفتاء ؟ قال : أتعبت نفسى اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ، فان هاجمنا العدو كان بنا حراك .. وقال البخارى : دعوت ربى مرتين فاستجاب (يعنى فى الحال) فلن أحب أن أدعو بعد فلعله ينقص حسناتى — وقال : لا يكون لى خصم يوم القيامة فقيل له ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اغتياب الناس فقال انما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بئس أخو العشيرة » وقال ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام .

وكان يصلى ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة فلما قضى صلاته قال : انظروا أى شىء هذا الذى آذانى فى صلاتى

فنظروا فاذا الزنبور قد ورمه فى سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته • وكان قليل الأكل كثير الاحسان مفرط الكرم وبالجملة كان مثالا فى قوله وفعله سرت السنة فى لحمه وعظمه وسيطرت على سلوكه وتصرفاته ومشـــاعره فكان قدوة فى كل مجـــال ومن شعره الحكيم :

اغتنم فى الفراغ فضـــل ركوع
فعسى أن يكون مـــوتك بغتـــة

كم صحيح رأيت من غير ســـقم
ذهبت نفســـه الصحيحة فلتـــة

ونعى اليه أحد أحبابه فأنشد :

ان عشت تفجع بالأحبـــة كلهم
وبقـــاء نفسك لا أبالك أفجـــع

مؤلفـــــاته :

وشخصية كشخصية الامام البخارى رغم أثرها الهـــائل فى مجال الدرس والتعـــليم والرواية والدراية لم يخـــل أثرها من مؤلفات فى شتى المجالات التى تتصل بالحديث الشريف والسنة النبوية الكريمة ومن هذه المؤلفات :

١ ــ الجامع الصحيح « صحيح البخارى » •
٢ ــ الأدب المفرد ــ مطبوع •
٣ ــ رفع اليدين فى الصلاة ــ مطبوع •

٤ ــ بر الوالدين .
٥ ــ التاريخ الكبير ــ مطبوع .
٦ ــ التــاريخ الأوسط .
٧ ــ التاريخ الصغير ــ مطبوع .
٨ ــ كتاب الضعفاء ــ مطبوع .
٩ ــ كتاب التفسير الكبير ــ موجود بمكتبة الجزائر .
١٠ ــ القراءة خلف الامام ــ مطبوع .
١١ ــ الــكنى ــ مطبوع .
١٢ ــ العــلل .
١٣ ــ أسامى الصحــابة .
١٤ ــ الأشربة .
١٥ ــ الوجــدان .

وهذه الكتب اما فى مجال جمع الحديث فى مجالات خاصة أو بصــورة عامة أو فى مجــال البحث عن رواة الحديث من ناحية الجرح والتعديل والتمييز بين الرواة رغم عددهم الهائل ومجال انتاجهم الغزير .

صحيــح البخــارى :

قال فيه العلمــاء بحق أنه أصــح كتاب بعد كتاب الله وهو الكتاب الذى أصبح به البخارى أمير المؤمنين فى الحديث وكتب له به الخلود ورفع ذكره مقترنا بالصحيح من حديث رســول الله

صلى الله عليه وسلم سماه البخارى : « الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » ولما كانت ميزته الكبرى التى اختص بها هى وصفه بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فقيل « صحيح البخارى » .

سبب تصنيفه :

كان البخارى خلاصة عصره فيما يتصل بالسنة النبوية الكريمة وكان أقدر الناس على هذا العمل الجليل وقد طلب منه ذلك أستاذه الجليل اسحاق بن راهويه فى مجلس حافل بالعلماء فاستحث همته وحرك عزيمته .

ثم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بين يديه يذب عنه بمروحة فى يده فى المنام وفسرت الرؤيا بأنه يذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن حجر : فلما رأى البخارى هذه التصانيف (الموجودة فى عصره) واستنشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فتحركت همته لذلك — ثم ذكر قول اسحاق ابن راهوية لمن معه فى مجلس العلم : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن البخارى كان أول من استجاب لذلك .

وقد استغرق انتقاء الجامع الصحيح ست عشرة سنة وخرجه

من ستمائة ألف حديث وكان يغتسل ويصلى ركعتين قبل أن يكتب فيه حديثا ويستخير الله تعالى فى كتابته .

منهجــه فى الجامع الصحيــح :

لم يضع فى كتابه الا ما صح مسنده واتصل بنقل العــدول الضابطين وخلا من الشذوذ والعلة واشترط أن يثبت لقاء الراوى من روى عنه ولو مرة اذا روى بعن زيادة فى التأكد وانتقى من الرجال أكثرهم صحبة لمن روى عنه وأعرفهم بحديثه وأشهرهم بالرواية عنه ولا ينزل عن ذلك الا فى حديث له أصل ثابت بالطريق الأولى لذلك أجمع العلماء كابن حجر والنووى والسيوطى وغيرهم على وجوب العمل بأحاديث البخارى بل لقد قال ابن الصــلاح ومن تابعه أن كل ما ورد فى البخارى ومسلم بالاسناد المتصــل مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحتــه فى نفس الأمر لأن الأمة تلقت ذلك بالقبــول .. وقد قال الجــوينى : لو حلف انسان بالطلاق أن ما فى كتابى البخارى ومسلم مما حكم بصحته من قول النبى صلى الله عليه وسلم لما لزمه الطلاق ولا حنث فيه لاجماع المسلمين على صحته .

وعدد أحاديث صحيح البخارى كما قال ابن حجر بالمــكرر سوى المعلقات والمتابعات بسبعة آلاف وثلثمائة وسبعة وتسعين حديثا وجملة ما فيه من التعليق ألف وثلثمائة وواحد وأربعــون وأكثرها مخرج من أصول متونه والذى لم يخرجه مائة وستون

وفيها من المتابعات والتنبيهات على اختـــلاف الروايات ثلثمائة وأربعة وثمانون .

ومعنى المعلق ما ورد بسند غـــير متصل بأن حذف من أول اسناده راو أو أكثر وجاء به البخـــارى هكذا ليبين أنه ليس من مقصود كتابه وانما أتى به ايناسا واستشهادا ولزيادة التوضيح.

وقد أكثر فى كتابه « الصحيح » من التراجم فقبل أن يذكر الحديث أو الأحاديث يذكر الترجمة التى تناسبه كأنها شرح لـــه أو توجيه الى بديعة فيه أو معنى خفى يدرك باجهاد الذهن معه وغرضه من ذلك كما قال الامام النووى: الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها من الفقه والأصول والزهد والأدب والأمثال وغيرها وربط كثيرا من أحاديثه بآيات من القرآن وأقوال السلف وما يستنبطه من روح الأحاديث فـــكانت مفتاحا لفهم الحديث وشرحا مركزا شرح به البخارى صحيحه حتى قيل : « ان فقـــه كالعقيدة والعبادة والسلوك وغير ذلك .

وقد سمى كتابه الصحيح بالجامع لجمعه كل أو أكثر مقاصد العلم الدينى وشموله لكل ما عبرت عنه السنة من أوجه النشاط كالعقيدة والعبادة والسلوك وغير ذلك .

ومن فوائـــــده :

١ ــ الحكم على أساس ما فيه من الأحاديث الصحيحة على اجتهاد المجتهدين تصويبا أو تخطيئا .

٢ ــ الرد على المبتدعة والزنادقة والمفسدين بما فيه من الأحاديث الصريحة الصحيحة .

٣ ــ تنشيط مدرسة الحديث وعلومة وفتح المجال للانتقاء والمبالغة فيه .

٤ ــ تدعيم النشاط فيما يتصل بلغة العرب وقواعده والاستشهاد لها وبها .

وفاة البخارى :

وفى سنة الثانية والستين بعد حياة حافلة بالعلم خرج البخارى الى خرتنك (من قرى سمرقند) ونزل ضيفا على بعض أقربائه بعد أن أنهكه الجهاد وأرهقه العمل فدعا قائلا : « اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك » وأقام فى خرتنك أياما فمرض حتى وجه اليه رسول من سمرقند يتلمسون منه الخروج اليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفية وتعمم فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها قال أرسلونى فقد ضعفت فتركوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحاديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم وترك الأثر الخالد الذى ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم .

— ٤ —

الامـــام مسلم

هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد ابن كوشاذ القشيرى النيسابورى •

ولد بنيسابور (أحسن مدن خراسان) واجمعها للخير جمع الحاكم تاريخ علمائها فى ثمانية مجلدات) وكان مولده سنة مائتين وست من الهجرة فى عصر كان للحديث مجده وللسنة سلطانهـــا ، وكان العلماء الأفذاذ فى كل قطر من أقطار الاسلام له مفيه نشاط سامق لكن بلاد ما وراء النهر كانت أنشط الاقطار وأكثرها تدفقا بالحيوية والنشاط فيما يتصل بالحديث •

شخصيتـــه :

أتسمت شخصية الامام مسلم بالبحث العلمى الجاد ولـــم تتح له ظروف عصره أن يظهر بما ظهر به الامام البخـــارى من الجاذبية العلمية العنيفة والبروز الحاد ، ولكنه مع ذلك استطاع أن يلفت الانظار اليه بشدة حينما أظهر صحيحـــه الذى أصبح صنو صحيح البخارى وأصبح به ثانى اثنين فى جمع الصحيح من الحديث • وكان تام القامة أبيض الرأس واللحيـــة يرخى طرف عمامته بين كتفيه بعد أن استمر به السن فى دراســـة الحديث ، وكان له ضياع بأستوى ينفق منها على مطالبه الشخصية والعلمية وبدأ حياته بزازا الى جانب طلبـــه للحديث ، وكان أبوه الحجاج من المشيخة فورث عنه طلب العلم والاتجاه الى دراسة الحديث •

تكوينه العلمي ورحـــلاته :

كان فيض العلم فيما يتصل بالحديث وفنونه ينهل منـــه كل طالب فالتمس الامام مسلم تحصيل ما يمكن تحصيله وجد واجتهد فى طلب العلم ورحل فى سبيل ذلك الى كثير من الأمصار والأقطار فضم الى علم بلده علوم البلاد الأخرى حتى أصبح من حمـــلة التراث الاسلامى بكل ألوانه وصوره .

فرحل الى العراق وسمع بها من كثيرين منهم أحمد بن حنبل وعبد الله بن مسلمـــة .

والى الحجاز وسمع بها من كثيرين منهم سعيـــد بن منصور وأبو مصعب الزهرى .

والى مصر وســـمع بها عمرو بن ســـوار وحرملة بن يحيى وآخرين .

والى الرى وسمع بها محمد بن مهران الجمال وأبا عســـان وآخرين .

وســـمع بخراسان يحيى بن يحيى واســـحـــاق بن راهويـــة وآخـــرين .

وسمع من كثيرين من أساطين المحدثين وكبار رجال السنة .

وجـــالس الامـــام البخارى واستفاد منـــه حتى لقـــد قال الدارقطنى : لولا البخارى لما ذهب مسلم ولا جاء . وقال الخطيب انما قفا مسلم طريق البخارى ونظر فى علمـــه فحذا حذوه ولمـــا ورد البخارى نيسابور آخر مرة لازمـــه مسلم وأدام الاختلاف اليه .

وبقدر ما حصل من العلم واستفاد من العلماء بقدر ما بذل من العلم وأفاد ، فقد روى عنه أبو عيسى الترمذى حديثا واحدا وروى عنه يحيى بن صاعد ومحمد بن مخلد وأبو عمرو الخفاف ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وغيرهم . . وترك من الآثار ما يشهد له بجدية البحث ودقة الفهم وروعة التأثير والاستنباط .

مؤلفاته :

تنوعت مجالات البحث عند الامام مسلم وشملت من فنون الحديث أبدعها وكلها تدل على ما كان لدى الامام مسلم من تمكن ودراية وفهم ومن هذه المؤلفات :

١ ــ أوهام المحدثين ٢ ــ طبقات التابعين ٣ ــ الأسماء والكنى ٤ ــ السؤالات عن أحمد بن حنبل ٥ ــ العلل ٦ ــ المخضرمين (نقل عنه السيوطى فى الحديث عن التابعين فى كتاب تدريب الراوى) ٧ ــ الوحدان ٨ ــ مشايخ الثورى ٩ ــ مشايخ مالك ١٠ مشايخ شعبة .

وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة التى لم يبق منها الا ذكراها الطيبة العطرة والتى نتنسمها فى أثره الشامخ الخالد « صحيح مسلم » .

صحيح الامام مسلم :

والأثر الهام الباقى من تراث الامام مسلم هو صحيحه الذى طبقت شهرته الآفاق وسار ذكره فى الأمصار استغرق تأليفه

خمس عشرة سنة وجمع فيه أربعة آلاف حديث من غير المكرر انتقدها من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة والمكرر أكثر من ثمانية آلاف أو اثنى عشر ألف سند وطريق الى الأحاديث المسندة فيه.. قال أحمد بن سلمة : « كتبت مع مسلم فى تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث » وقد امتاز صحيح مسلم بخصائص ومزايا جعلت بعض العلماء يقدمه على صحيح البخارى .

أول هذه المزايا : هى خلوصه للحديث دون غيره فليست فيه استنتاجات فقهية أو أصولية أو تفريعات علمية فى أى مجال بل جعل لكل حديث موضعا يليق به جمع فيه طرقه التى ارتضاها واختار ذكرها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه .

وثانى هذه المزايا : أن مسلما صنف كتابه فى بلده بحضور أصوله فى حياة كثير من مشايخه فكان يتحرى فى الألفاظ ويتحرى فى السياق ولا يتصدى لما تصدى له البخارى من استنباط الأحكام ليبوب عليها .

وثالث هذه المزايا: أنه رسم خطة بحثه فى أول صحيحه وذكر فيها سبب جمعه الصحيح وأقسام الأخبار والمنهج الحقيقى فى تقدير الرواة ورأيه فى الحديث المعنعن وبهذا كان صحيحه عبارة

عن منهج وتطبيق لهذا المنهج وهو مستوى من المستويات الرفيعة فى أى مؤلف من المؤلفـــات •

ذكر مسلم فى مقدمة صحيحه أنه سئل أن يلخص مؤلفا فى جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وســلم فى سنن الدين وأحكامه وما كان منها فى الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التى نقلت بها وتداولها أهل العلم فيما بينهم بلا تكرار لأن ضبط القليل المتقن أيسر من معالجة الـــكثير عند من يحتاج الى أن يميز له غـــيره الحديث (غير المتخصص) ولأن القصد الى الصحيح القليل أولى من زيادة السقيم وبين أن استجابته لذلك ستعود فائدتها عليـــه قبل كل شىء لأن القليل الصحيح خير من الكثير السقيم • واذا كان العلماء المتخصصون يهجمـــون على الـــكثرة الغـــامرة من الأحاديث المختلطة من الصحيح والضعيف والموضـــوع يميزون منها ما يصح مما لايصح وما يصلح مما لايصلح فان العوام لا نفع لهم فى هذا الكثير ولا فائدة لهم منه بل ان هذه الكثرة كثيرا ما تنحرف بهم الى الأخذ بما لا يصح الأخذ به والعمل بما ينبغى عدم العمـــــل به •

فصحيح مسلم برز الى الوجود نتيجة باعثين : باعث الطالب المباشر من أحد المعاصرين أو من فئة معينة منهم ، ولا شك أن طالب الشىء انما يطلبه غالبا ممن يستطيع القيام به وفى ذلك ما يدل على مكانة الامام مسلم •

وباعث الطلب غير المباشر : طلب الحالة الحاضرة التى كان عليها الحديث قبل جمع الصحيحين من اختلاط الصحيح بالسقيم والقوى بالضعيف وقصور الاستفادة من الأحاديث على الخاصة دون العـــامة .

وسلك الامام مسلم فى صحيحه طريق التيقظ والتحوط وقسم الأخبار المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار الا لضرورة تقتضى تكرير الحديث كزيادة معنى فى الطريق الآخر أو كشف علـــة فى اسناد بمقارنته بغيره من الأسانيد .

القسم الأول : ما نقله الثقات المتقنون الذين بلغـــوا أقصى درجات القوة فى الرواية كابن عوف وأيوب السختيانى مع الحسن وابن ســـيرين .

القسم الثانى : ما يقع فى اسناده من ليس موصوفا بالحفظ والاتقان لكنه صادق متعاط للعلم مستور أى فى الدرجة الوسطى من رجال الحديث كعوف بن أبى جميلة وأشعث الحمـــرانى مع الحسن وابن سيرين .

القسم الثالث : ما رواه متهمون بالكذب أو الوضع أو الغفلة أو سوء الحفظ أو ما الى ذلك من عيوب الرواة عند أكثر المحدثين أو عند كل المحدثين ، وهذا القسم قد تركه مســـلم ولم يعرج عليه ولم يدخل شيئا منه فى صحيحه كمحمد بن سعيد المصلوب

وغياث بن ابراهيم وغيرهم ممن اتهم بتوليد الأخبار ووضع الحديث .

أهم شروح صحيح مسلم :

١ ــ المعلم بفوائد كتاب مسلم للامام أبي عبد الله محمد بن على المازرى المتوفى سنة ٥٣٦ هـ ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية .

٢ ــ اكمال المعلم فى شرح صحيح مسلم للامام القاضى عياض بن موسى اليحصبى المالكى المتوفى سنة ٥٤٤ ، وهو محفوظ بدار الكتب .

٣ ــ شرح الامام محيى الدين بن شرف النووى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ وسماه المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج .

وهناك شروح للزواوى المتوفى سنة ٧٤٤ هـ والسنوسى سنة ٨٩٥ هـ والشيخ زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وعلى القارى الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ومن الشروح التى لم تتم كتاب فتح الملهم البشير العثمانى الدينويندى وقد طبع منه ثلاثة أجزاء كبار قبل وفاته .

وفاته :

وتوفى رحمه الله عشية الأحد ودفن يوم الاثنين لخمس بقين

من رجب سنة ٢٦١ هـ احدى وستين ومائتين ودفن بنيسابور وقد حكوا فى سبب موته أنه أجهد نفسه فى البحث عن حديث بين الكتب والدفاتر وغفل عن نفسه فكان يتناول تمرا بجانبه فمرض من كثرة الاجهاد وعسر الهضم وتوفى بسبب ذلك • رحم الله مسلما رجلا أخلص للعلم فوفقه الله فيه وأبلغه درجة من الدرجات العالية التى لا يصل اليها الا المخلصون (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) •

— ٥ —

الامـــام أبو داود

امام جليل من أئمة السنة له فيها مجهود مشـكور وعمـل مبرور هو كتاب السنن الذى لم يؤلف مثله فى الأحكام دون غيرها فصار مرجع الفقهاء وعدة المجتهدين واستحق صاحبه الثناء .

نســـبه ومولـــده :

هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شـداد بن يحيى الأزدى السجستانى صاحب المؤلفات المشهورة والجهـود المحمودة فى مجال الحديث .

نشأ محبا للعلم راغبا فى العلماء مـلازما لمجالس التعليـم فحصل من العلم فى بلده ما أمكنه ورحل فى سبيل ذلك الى كثـير من البلاد ولنترك الامام أبو داود يتحدث عن نفسه فيمـا رواه محمد بن على بن عثمان الآجرى قال : سمعت سليمان بن الأشعث يقول : ولدت سنة اثنتين ومائتين وصليت على عفان ببغداد سنة عشرين (أى ومائتين) وسمعت من أبى عمـر الضرير مجلسـا واحدا ودخلت البصرة وهم يقولون : أمس مات عثمـان المؤذن وتبعت عمر بن حفص بن غياث الى منزله ولم أسمع منه شيئـا ورأيت خالد بن خراش ولم أسمع منه شيئا،وسمعت من سعدويه مجلسا واحدا ، وسمعت من عاصم بن على مجلسا واحدا . قلت : سـمعت من يوسف الصفـار ؟ قال لا . قلت سـمعت من ابن

الأصفهانى ؟ قال : لا . قلت سمعت من عمرو بن حماد بن طلحة قال لا، و لاسمعت من مخول بن ابراهيم ثم قال : هؤلاء كانوا بعد العشرين والحديث رزق ولم اسمع منهم ، وكان لا يحدث عن ابن الحمانى ولا عن سويد ولاعن ابن كاسب ولاعن ابن حميد ولا عن سفيان بن وكيع ولم يسمع من خلف بن موسى بن خلف ولا من أبى همام الدلال ولا من الرقاشى .

ورحل أبو داود الى كثير من البلاد وسمع من شيوخها وعلى الأخص مصر والشام والجزيرة والعراق وخراسان وغيرها وسكن البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث فيها بكتاب السنن ، بل يقال انه صنفه بها وعرضه على الامام أحمد فاستجاده واستحسنه وكان آخر العهد به فى بغداد فى أول سنة احدى وسبعين ومائتين فخرج منها ولم يعد اليها ونزل بالبصرة وكان بها وفاته .

شيوخه وتلاميذه :

أخذ أبو داود عن كثير من الشيوخ من شتى الأقطار واتصل بمختلف المدارس ومن أشهر شيوخه الأئمة أحمد بن حنبل وعبد الله بن مسلمة وموسى بن اسماعيل التبوذكى وأبو عمرو الضرير ومسلم بن ابراهيم وعبد الله بن رجاء وأبو الوليد الطيالسى وأحمد بن يونس وأبو ثوبة الحلبى وقتيبة بن سعيد وعثمان بن أبى شيبة وابراهيم بن موسى الفراء وغيرهم ، وقد شارك البخارى ومسلما وقتيبة بن سعيد والقعنبى ، وفى هذا ما

يدل على أن الفرق بينه وبين الشيخين ليس الا فرقا فى التأثر والتعبير .

أما تلاميذه ومن روى عنه فهم كثيرون من أشهرهم أبو عيسى الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى وابنه أبو بكر بن أبى داود وأبو عوانة وأبو بشر الدولابى وأبو أسامة محمد بن عبد الملك وأبو سعيد بن الأعرابى وأبو على اللؤلؤى وأبو بكر بن داسة وأبو سلم محمد بن سعيد الجلودى وأبو عمر وأحمد بن على وغيرهم ، وبحسبه فضلا أن روى عنه شيخه الامام أحمد بن حنبل حديثا سمعه منه بل واحضر الدواة والقرطاس وطلب منه املاء هذا الحديث بل وأوصى أحد وراقه بكتابة هذا الحديث عنه ، وهذا الحديث هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبى معشر الدرامى عن أبيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العتيرة فحسنها » .

مؤلفاته :

وكما كان الامام مثلا فى الحديث والرواية والنوعية والتدريس كان رائدا فى تأليفه وانتقائه لمواضيع بحثه فألف المؤلفات الشيقة فى المجالات الدقيقة من مجالات التأليف وترك ثروة من الكتب ضاع أكثرها فى زحام النكبات والأزمات ومن أشهر هذه المؤلفات .

كتاب السفن ، كتاب القدر ، كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب المسائل ، كتاب الزهد ، كتاب دلائل النبوة ، كتاب الدعاء ، كتاب

ابتداء الوحى ، كتاب أخبار الخوارج ، كتاب فضائل الأعمال ، كتاب المراسيل .

وهكذا اشتملت مؤلفات الامام على ما لم يشتمل عليه كتاب السنن فكونت بمجموعها ثروة علمية متكاملة .

وفاته :

وبعد حياة حافلة بخدمة العلم ومتانة البحث وجدية العمل اختاره الله لجواره فتوفى فى السادس عشر من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة ودفن بها الى جانب قبر سفيان بعد أن صلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمى فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

سنن أبى داود :

عدها الامام الكبير أحمد المعروف بشاه ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة من الطبقة الثانية من كتب الحديث وهى كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها عرف مصنفوها بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر فى فنون الحديث ، ولم يرضوا فى كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على أنفسهم وتلقاها من بعدهم بالقبول ، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة ، واشتهرت فيما بين الناس ، وتعلق بها القوم ، شرحا لغريبها ، وفحصا عن رجالها ، واستنباطا لفقهها ، وقال فى موضع آخر : وجمع فيها الصحيح والحسن واللين الصالح للعمل

وترجم على كل حديث بما استنبطه منه عالم أو ذهب اليه ذاهب أ هـ .

وقد انتقاه من خمسمائة ألف حديث فبلغ أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها فى الأحكام وأكثرها مشاهير وأبرز فيه ثروته الفقهية التى امتاز بها على من عدا البخارى من الأئمة الستة وجمع فيه أبواب الفقه والأحاديث التى استدل بها فقهاء الأمصار وبنوا عليها الأحكام حتى لقد قيل : « ان السنن تكفى المجتهد بعد كتاب الله تعالى » وجعله خالصا للأحكام دون غيرها كالفضائل والقصص والمواعظ والآداب أخذا بمبدأ التخصص وتحديد جانب من جوانب السنة المتعددة لجمعه وانتقائه وامداد الباحثين والمؤمنين بكل مايتصل به. وقد ظهرت براعته فى التراجم على الأحاديث مما دل على كمال احاطته بمذاهب العلماء ومعرفته بمسالكهم فى الاستدلال فاعتنى بكتابه الفقهاء واشتهر بينهم وكان من أوفى المراجع بالنسبة اليهم وأثنى عليه كثير من العلماء .

تقييم السنن :

لم يدخر العلماء وسعا ــ بعد المدح الاجمالى لكتب السنة ووضع كل منها فى موضعها الذى تستحقه ــ فى نقد كل منها واعطاء صورة واضحة عن منهج مؤلفها ومكانة مؤلفه وما فاته فيه وما يمكن أن يستدرك عليه . وتحدث عن السنن جهابذة العلماء . فقال ابن الصلاح المتوفى سنة ١٤٢ هـ فى مقدمته :

ومن مظـــانه ـــ أى الحسن ـــ سنن أبى داود السجستانى رحمه الله ، روينا عنه أنه قال : ذكرت فيه الصحيح وما يشبهـــه ويقارنه ، وروينا عنه أيضا ما معناه : أنه يذكر فى كل باب أصح ما عرفه فى ذلك الباب وأن ما كان فى كتـــابه من حديث فيه وهن شديد بينه وما لم يذكر فيه شيئا فهو صالح وبعضـــه أصح من بعض فعلى هذا ما وجدناه فى كتابه مذكورا مطلقا وليس فى واحد من الصحيحين ولا نص على صحته أحد ممن يميز بين الصحيح والحسن عرفنا بأنه من الحسن عند أبى داود • وقد يكون فى ذلك ما ليس بحسن عنده ولا يندرج فيما ضبط حد الحسن به • ثـــم قال : قال أبن منده : كان أبـــو داود السجستانى يأخـــذ مأخذ النسائى من التخريج عن كل من لم يجمع على تركه وكان يخرج الاسناد الضعيف اذا لم يجد فى الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأى الرجال فكان فى ذلك مثل أستاذه أحمد بن حنبل رحم اللـــه الجميـــع •

وقد أوضح أبو داود منهجه فى السنن ونظرته اليها فى رسالته الى أهل مكة ردا على سؤالهم له عن ذلك ، ومن هـــذه الرسالة نقتطف ما يفى بالغرض ويحقق المقصـــود •

قال أبو داود : أما بعد : « عافانا الله واياكم عافية لا مكروه معها ولا عقاب بعدها • فانكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التى فى كتاب السنن أهى أصح ما عرفت فى الباب ؟ ووقفت على جميع ما ذكرتم • • فأعلمـــوا أنه كذلك كله الا أن يـــكون قد روى من

وجهين صحيحين فأحدهما أقوم اسنادا والآخر صاحبه أقوم فى الحفظ فربما كتبت ذلك ، ولا أرى فى كتابى من هذا عشرة أحاديث ولم أكتب فى الباب الا حديثا أو حديثين • وأن كان فى البـاب أحاديث صحاح فانها تكثر • وانما أردت قرب منفعته، واذا أعدت الحديث فى الباب من وجهين وثلاثة فانما هو من زيادة كلام فيه وربما فيه كلمة زائدة على الأحاديث ، وربما أختصرت الحديث الطويل لأنى لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من يسمعه المراد منه ولم يفهم موضع الفقه فيه فاختصرته لذلك • • وأما المراسيـل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان الثورى ومالك والأوزاعى حتى جاء الشافعى فتكلم فيه وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم فاذا لم يكن مسند ضد المرسل ولم يوجد مسنـد غير المرسـل فالمرسـل يحتـج به • وليس هو مثل المتصـل فى القوة • وليس فى كتـاب السـنن الذى صنفتـه عن رجـل متـروك الحـديث شىء ، فاذا فالمرسل يحتج به • وليس هو مثل المتصل فى القـوة • وليس فى كتاب السنن الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شىء ، فاذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر وليس على نحوه فى البـاب غيره • وهذه الأحاديث ليس منها فى كتاب ابن المبارك ولا كتاب وكيع الا الشىء اليسير وعامته فى كتاب هؤلاء مراسيل• وفى كتاب السنن من موطـأ مالك بن أنس شىء صالح وكذلك من مصنفات حماد بن سلمه وعبد الرازق • وقد ألفته نسقا على ما وقع عندى فان ذكر لك عن النبى صلى الله عليه وسلم سنة ليس مما خرجته

فأعلم أنـــه حديث واه الا أن يكون فى كتابى من طريق آخر فانى لم أخرج الطرق لأنه يكثر على المتعلم . ولا أعرف أحدا جمع على الاستقصاء غيرى . . وما كان فى كتابى من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ، ومنه ما لا يصح سنده ، وما لم أذكر فيه شيئا فهـو صالح وبعضها أصح من بعض ، وهذا لو وضعه غيرى لقلت أنا فيهأكثر ، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبى صلى اللـــه عليه وسلم باسناد صالح الا وهى فيه الا أن يكون كلاما استخرج من الحديث ، و لايكاد يكون هذا ، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب ، ولا يضر رجلا أن لا يكتب من العلم شيئا بعد ما يكتب هذا الـكتاب . واذا نظر فيـــه وتدبره وتفهمه حينئذ يعلم مقداره ، وأما هذه المسائل ، مسائل الثورى ومالك والشافعى فهـذه الأحاديث أصولها . . والأحاديث التى وضعتها فى كتاب السنن أكثرها مشاهير فانه لا يحتـــج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم ، وهى عند كل من كتب شيئا من الأحاديث الا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس والفخر بها أنها مشاهير فالحديث المشهور المتصل الصحيح ليس يقدر أن يرده عليك أحد ، وأمـــا الحديث الغريب فانه لايحتج به ولو كان من رواية الثقات من أهل العلم ، قال ابراهيم النخعى : كانوا يكرهون الغريب من الحديث ، وقال يزيد بن أبى حبيب:اذا سمعت الحديث فأنشده كما تنشد الضالة فان عرف والا فدعه ، وان من الأحاديث فى كتابى السنن ما ليس

بمتصل وهو مرسل ومدلس وهو اذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل ، وهو مثل الحسن عن جابر ، والحسن عن أبى هريرة ، والحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بمتصل ، وسماع الحاكم من مقسم أربعة أحاديث ، وأما ابو اسحاق عن الحارث عن على فلم يسمع أبو اسحاق من الحارث الا أربع أحاديث ليس فيها مسند واحد ، وأما ما فى كتاب السنن من هذا النحو فقليل ، ولعله ليس للحارث الأعور فى كتاب السنن الا حديث واحد ، فانما كتبته بآخرة ، وربما كان فى الحديث شبه الحديث منه اذا كان يخفى ذلك على ، فربما تركت الحديث اذا لم أفقهه ، وربما كتبته وبينته ، أو لم أقف عليه ، وربما أتوقف عن مثل هذه لأنه لا ضرر على العامة أن يكتب لهم كتاب من هذا الباب فيما مضى من عيون الحديث لأن علم العامة يقتصر عن مثل هذا ولم أصنف فى كتاب السنن الا الأحكام ، ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها ، فهذه أربعة آلاف وثمانمائة كلها فى الأحكام ، فأما أحاديث كثيرة فى الزهد والفضائل وغيرها فلم أخرجها . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

عناية العلماء بالسنن

اعتنى به العلماء رواية ودراية فاشتهرت روايتها عن أربعهم:

١ — أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمار المصرى المعروف بابن داسة المتوفى سنة ٣٤٦ هـ .

٢ — أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر المعروف بابن الأعرابى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ .

٣ — أبو على محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى البصري .

٤ — أبو عيسى اسحاق بن موسى بن سعيد الرملى وراق أبى داود .

وروايـة ابن داسة أكمل الروايات وروايـة الرملى تقاربها ورواية اللؤلؤلى من أصـح الروايات لأنهـا من آخر ما أملى أبو داود وعليها مات رحمه الله ورواية ابن الأعرابى فيها أبواب ساقطـة ونقص كبير .

وقام كثير من العلماء بشرح السنن منهم :

١ — الامام أبو سليمان أحمد بن ابراهيم بن خطاب البستى الخطابى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ثمان وثمانين وثلثمائة (وقيل أسمه حمد بدون ألف) وسمى شرحه معالم السنن وهو شرح وسط اهتم فيه باللغات وتحقيق الروايات وضبط الكلمات واستنباط الأحكام والآداب والكشف عن المفاهيم الفقهية فى الأحاديث وتوضيـح المعانى المستغلقة وقد طبع بمصر وغيرها وهو موجود متداول .

٢ — شرح الشيخ قطب الدين أبو بكر اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٦٥٢ اثنين وخمسين وستمائة ويقع فى أربعة مجلدات كبار .

٣ — شرح الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن على بن الملقن اقتصر فيه على شرح زوائده على الصحيحين ويقع فى مجلدين .

٤ــ شرح الشيخ ولى الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٢٦ شرح من أوله الى سجود السهو فى سبع مجلدات وقد توسع فيه فى الشرح والتحليل ولكنه لم يكمل •

٥ ــ شرح العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى المتوفى سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة ولم يكمل •

٦ ــ شرح الشيخ السيوطى وسمــاه « مرقاة الصعود الى سنن أبى داود » •

٧ ــ شرح الشيخ أبو الحسن السندى المدنى المتوفى سنــة ١١٣٨ وهو تعليق لطيف وجــيز •

٨ ــ شرح الشيخ شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن على حيدر الصديقى المتوفى فى القرن الرابع عشر الهجرى وسمــاه « عون المعبود على سنن أبى داود » وذكر فى مقدمته : أنه اقتصر فيه على حل بعض المطالب العالية ، وكشف بعض اللغات المغلقة وتراكيب العبارات مجتنبا الاطالة والتطويل الا ما شاء الله • وقد طبع بمصر أخيرا مع تعليقات لابن القيم على السنن •

— ٦ —

الامام الترمـذى

امام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام المحدثين له فى الحديث قدم راسخة وباع واسـع • عاش حياته المباركة فى جـو علمى اسلامى فانطلقت مواهبه فى مناخ علمى مزدهر بنهضـة تدوين حديث رسول اللـه زمانا ومكانا • أما الزمان فهو القرن الثالث الهجرى العصر الذهبى لتدوين السنة ظهرت فيه كتب الصحاح ومنها جامع الترمذى •

وأما المكان فبلاد ما وراء النهر « نهر جيحون »أرض العلماء سمت برجال الحديث : محمد بن اسماعيل البخارى • ومسلم بن الحجاج النيسابورى • وامامنا أبو عيسى الترمذى •

وهو أبو عيسى محمـد بن عيسى بن سـورة بن موسى بن الضحاك السلمى البوغى الترمذى الضرير • ولد فى مطلع القرن الثالث الهجرى فى ذى الحجة سنة تسع ومائتين من الهجـرة فى قرية من قرى مدينة ترمذ تسـمى بوغ بينها وبين ترمذ سـتة فراسخ الى مرو والعجم ينسبون على غير قياس بالزاى والياء معا • ثم انتقل جده أيام الليث بن سيار الى بـوغ • والسلمى نسبة الى بنى سليم قبيلة من غيلان — وتوفى أبو عيسى فى بلدته بوغ فى رجب سنة ٢٧٩ هـ وقد أصبح الترمذى ضريرا فى آخـر عمره ولم يولد ضريرا •

قال محدث خراسان الحاكم أبو أحمد : سمعت عمران بن علان يقول:مات محمد بن اسماعيل البخارى ولم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والورع بكى حتى عمى •

عاش الترمذى للحديث ورحل اليه حيثما وجد فسمع من الخراسانيين والحجازيين والعراقيين • وهو تلميذ امام المحدثين البخارى وخريجه • وتأثر به ولا سيما فى فقه الحديث وناظره وناقشه • وروى عنه البخارى حديثا وهذه مكانة وشهادة تقدر حق القدر فى عرف المحدثين وتدل على مكانة الترمذى فى نظر أئمة الحديث• وسمع الترمذى من الامام مسلم بن الحجاج وأبى داود • واشترك مع أقرانه الأئمة الخمسة أصحاب الكتب المعتمدة ونهضة الحديث فى القرن الثالث • الامام البخارى ، والامام مسلم بن الحجاج النيسابورى ، والامام أبو داود السجستانى والامام النسائى أحمد بن شعيب والامام ابن ماجة محمد ابن يزيد فى تسعة شيوخ • محمد بن بشار بندار • ومحمد بن المثنى أبوموسى • وزياد بن يحيى الحسانىوعباس بن عبدالعظيم العنبرى • وأبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الكندى وأبو حفص عمرو بن على الفلاسى • ويعقوب بن ابراهيم الدورقى • ومحمد بن معمر القيسى البحرانى ونصر بن على الجهضمى • وقد أدرك أبو عيسى الترمذى شيوخا أقدم من هؤلاء وسمع منهم • وروى عنهم فى كتابه الجامع • منهم عبد الله بن معاوية الجمحى • وعلى بن حجر المروزى • وسويد بن نصر بن

سويد المروزى • وقتيبة بن سعيد الثقفى أبو رجاء • وأبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى المدنى وغـيرهم •

قـوة حفظه :

للمحدثين ألقاب علمية فى غاية الدقة هى شهادات تقدير لهم تعطى لهم من الأئمة ومن المجتمع الاسـلامى من هـذه الألقاب المسند وهو من يروى الحديث باسناده • سواء أكان عنده بمعناه أم لم يكن له الا مجرد الرواية فى دفعة وحرص • والمحدث وهو أعلى شأنا من المسند بحيث يعـرف الأسانيد والعلل وأسمـاء الرجال • ويحفظ الكثير من فنون الحديث ، والحافظ وهو أعلى الدرجات العلمية لأنه يشترط أن يكون عالما بشيوخـه وشيوخ شيوخـه •

مـكانته عند الأئمـة :

لقد شهد الترمذى أئمـة العلماء وزفرت بالثناء عليـه كتب الطبقات • قال ابن الأثير فى تاريخه : كان الترمذى أماما حافظا له تصانيف حسنة منها الجامع الكبير وهو أحسن الكتب •

وقال ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب « كان مبرزا على الأقران آية فى الحفظ والاتقـان » •

وقال المزى فى التهذيب بأنه « الحافظ صاحب الجامع وغيره من المصنفات أحد الأئمـة الحفـاظ المبرزين ومن نفع اللـه به

المسلمين » ووصفه السمعانى بأنه « امام عصره بلا مدافعة » وقال عليه صاحب مفتاح السعادة :

« هو أحد العلماء الحفاظ الأعلام وله فى الفقه يد صالحة أخذت الحديث عن جماعة من الأئمة ولقى الصدر الأول من المشايخ » .

وقال الذهبى فى الميزان « الحافظ العلم صاحب الجامع ثقة مجمع عليه ولا التفات الى قول أبى محمد بن حزم فى الفرائض من كتاب الايصال أنه مجهول فانه ماعرف ولا درى بوجود الجامع ولا العلل له » .

وقال الحافظ بن حجر فى التهذيب « وأما أبو محمد بن حزم فانه نادى على نفسه بعدم الاطلاع فقال فى كتاب الفرائض محمد عيسى بن سورة مجهول ولا يقولن قائل : لعله ما عرف الترمذى ولا اضطلع على حفظه ولا على تصانيفه فان هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة فى خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ » وفى التهذيب عن نصر بن محمد الشيركوهى يقول : سمعت محمد ابن عيسى الترمذى يقول : قال لى محمد بن اسماعيل البخارى « ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بى » وذكره ابن حبان فى الثقات وقال فيه كان محمد ممن جمع وصنف وحفظ والامام الترمذى صاحب الجامع من الأئمة الستة الذين حرسوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحت كتبهم فى عالم السنة هى الأصول

المعتمدة فى الحديث ومن الذين نضر الله وجوههم لأنه سمع حديث رسول الله فأداه كما سمعه • كتاب الشمائل النبوية للترمذى •

ان مؤلفات الترمذى التى طبقت شهرتها الآفاق • واستحق بها الامامة هى كتاب الجامع للسنن ويعتبر كتاب العلل الصغرى ضمن كتاب الجامع كمدخل له وجزء منه وبيان لنهجه •

والكتاب الثانى • كتاب الشمائل المحمدية ، وهما الكتابان الموجودان • ومن الكتب التى للترمذى وفقدت وذكرتها كتب الطبقات والتاريخ كتاب العلل الكبرى وكتاب التفسير • وكتاب التاريخ، وكتاب الأسماء والكنى وكتاب الشمائل من الكتب النفيسة القيمة وذكر له بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى أكثر من عشرين شرحا ومختصرا • والنسخة التى اعتمد عليها هى طبعة القاهرة مصطفى الحلبى كتاب جمع الوسائل فى شرح الشمائل لعلم الرواية والدراية للامام الترمذى • وتقع فى جزءين بالحجم الكبير • الجزء الأول الى صحيفة ٣٥٦ والثانى به ٢٤٠ صحيفة شرح العلامة على بن سلطان محمد القارى الحنفى نزيل مكة وبهامشه شرح المحدث الشيخ عبد الرءوف المناوى المصرى المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ على متن الشمائل •

وقد ابتدأ الامام الترمذى كتاب الشمائل بباب ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال أبو عيسى أخبرنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

جامع الترمذى :

هو الكتاب الذى أصبح به الترمذى اماما فى الحديث وهو أشهر كتبه وأجلها ويسمى « جامع الترمذى » و «سنن الترمذى» وسماه الحاكم أبو عبد الله الخطيب البغدادى « الجامع الصحيح للترمذى » أو « صحيح الترمذى وقد وصفه الترمذى وسماه بالصحيح روى ابن كثير فى تاريخه عن الترمذى أنه قال : « صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به وعرضته على علماء العراق فرضوا به وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبى ينطق » .

وقال المجد بن الأثير فى مقدمة جامع الأصول « وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيبا وأقلها تكرارا . وفيه ما ليس فى غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب. وفيه جرح وتعديل . وفى آخره كتاب العلل . وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها » .

شروط الترمـذى :

أن الشروط المعتبرة والمتفق عليها عند أئمـة الحديث ومنهم الامام الترمذى بالنسبة لصحة الحديث:الاسلام والعقل والصدق والحفظ وعدالة الرواة وعنايتهم بالحديث وعـدم التدليس ثم استنبط المجتهدون الشروط الخاصة بعد ذلك لكل امام من كتبهم أو أقوالهم • فقال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى فى شروط الأئمة الستة وأما أبو عيسى فكتابه وحده على أربعة أقسام : قسم صحيح مقطوع به وهو ما وافق فيه البخارى ومسلم ، وقسم على شرط الثلاثة « أبى داود والنسائى وابن ماجه » ، وقسم آخـر للضدية أبان علته ولم يغفله ، وقسم رابع أبان هو عنه وقال مـا أخرجت فى كتابى الا حديثا قد عمل به الفقهـاء •

والواقع أن رأى المقدسى فى شرط الترمذى وتفسيره على هذا الوجه اجتهاد محمود وان كان يحتاج الى المناقشة فهو غير مسلم على اطلاقه • فلا يفهم من قول الترمذى ما أخرجت فى كتابى الا حديثا قد عمل به الفقهاء • انه يخرج كل حديث أحتج به محتج أو عمل بموجبه عامل سواء صح طريقه أو لم يصح • بل كان يفهم ذلك لو قال الترمذى بأنه يحتج بكل حديث أحتـج به الفقهاء • وفرق بين التعبيرين لجواز أنه يفتقى مما يحتج به الفقهاء مـا توافرت فيه شروط خاصة فى نظره • ثم ان هذا الشرط الذى قال به الترمـذى ليس بقسم خاص من كتابه كمـا يفهم من كـلام المقدسى ، وانما ينطق على كل ما أخرجه فى كتابه • والذى قال به

الترمذى فى آخر كتابه الجامع الصحيح « جميع ما فى هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به » وقد أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين : حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر بالمدينة والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر ، وحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه وبينا علة الحديثين جميعا فى الكتاب أ هـ .

وأن الامام الترمذى ببيانه درجة الحديث استحق أن يطلق على كتابه الجامع الصحيح فقد قال أحمد شاه ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة : والصحة أن يشترط مؤلف الكتاب على نفسه ايراد ما صح أو حسن غير مقلوب و لاشاذ ولا ضعيف الا مع بيان حاله . فان ايراد الضعيف مع بيان حاله لا يقدح فى الكتاب ، وقد أنصف المقدسى وأبان ذلك بقوله وقد أزاح عن نفسه الكلام فانه شفى فى تصنيفه وتكلم على كل حديث بما يقتضيه .

— ٧ —

الامـــام النسائى

هو الامام الجليل : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على ابن بحـــر بن سنان بن دينار النسائـــى القاضى صاحب السنن الصغرى والكبرى والمحدث الشهـــير •

ولد بنساء «من بلاد خراسان » سنة خمس عشرة ومائتـــين ونشأ كغيره من أئمة الحديث محبا للعلم والعلماء نهما الى المعرفة والتحصيل • ورحل الى بلاد كثـــيرة فى سبيل ذلك من أشهرها الحجاز والعراق والشام ومصر والجزيرة وسمـــع من الكثيرين بهذه الأقطار وتعرف على مناهجها المختلفة فى دراســـة الحديث واستطاع بمواهبه الطبيعية وجهوده الكسبية أن يصل الى درجة عالية من الحفظ والاتقان والفهم والمعرفة حتى لقد قيل : انـــه أحفظ من مسلم بن الحجاج صاحب الصحيـــح •

وقد شاء الله لمصر أن تنعم بصحبة هذا الامام وشاء له أن ينعم بالاقامة فيها فاستوطنها واستمر يمارس نشاطه العلمـــى بهـــا حتى قبيل وفاته •

شيـــوخه وتلاميـــذه :

ومن أشهر من أخذ عنه واستفاد منه من الشيوخ قتيبـــة بن سعيد الذى ارتحل اليه فى سن الخامسة عشرة وأقام عنده سنـــة وشهرين وشارك فى السماع منه أئمة الحديث كالبخارى ومسلم

وأبى داود • وسمع من الأئمة المشهورين كأبى كريب وسويد ابن نصر ومحمد بن النضر المروزى ومحمود بن غيلان وحمد بن بشار وهناد بن السرى ومحمد بن عبد الأعلى وأبو داود السجستانى والترمذى صاحب الجامع وغيرهم من كبار رجال الحديث •

أما من أخذ عنه العلم فكثيرون من أشهرهم أبو القاسم الطبرانى وأبو جعفر الطحاوى وابراهيم بن محمد بن صالح ابن سنان وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى ومحمد بن معاوية بن الأحمر الأندلسى والحسن بن رشيق ومحمد بن عبد الله بن حيوية وحمزة الكنانى وغيرهم من مشاهير العلماء •

ملامح من شخصيته وثناء الأئمة عليه :

كان شخصية جذابة وكان معتنيا بصحته ومطالب جسمه الى جانب عنايته بخلقه ومطالب روحه وكان مجتهدا فى العبادة مكثرا من الطاعة حتى لقد قيل : كان يصوم يوما ويفطر يوما •

وقال الحسن بن مظفر الحافظ : سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والامامة ويصفون اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد •

لقد كانت عنايته بصحته ليستطيع اعفاف نسائه والقيام بحق الله عليه من العبادة واداء واجبه فى الجهاد • لقد كان شجاعا متمرسا بالحرب وأساليب القتال خرج مع أمير مصر غازيا فوصفوا

من شهامته وشجاعته واقامته السنن المأثورة فى فداء المسلمين واحترازهم من مجالس الأمير الذى خرج معه الشىء الكثير •

لم تكن مطالب جسمه وبيته تدفعه الى التزلف الى الحكام أو التساهل فى الحلال والحرام لقد شغل مناصب هامة فى الأمور الدنيوية بجانب مكانته الدينية فكان أميرا لحمص كما روى الطبرانى فى معجمه الأوسط قال : حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص • • وفى ذلك ما يدلنا على ان خروجه للجهاد مع أمير مصر انما كان بسبب ما مارس من اساليب الحرب وتعرف من طرق السياسة وأنه كان فى جهاده من كبار المقاتلين فجمع الى العلم العمل والى الآخرة الدنيا وكان مثلا حيا للعلماء •

لذلك كثر الثناء من الأئمة عليه قال الحاكم عن الدارقطنى أبوعبد الرحمن النسائىمقدم على كل منيذكر بهذا العلم من أهل عصره وكان الدارقطنى يسمى كتابه : الصحيح • • وقال أبو على النيسابورى : للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج وكان من أئمة المسلمين واذا لاحظنا أن أبا على هذا هو الذى قال : ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج وأثار ذلك الاتجاه المضاد فى الموازنة بين البخارى ومسلم أخذنا رأيه هنا بشىء من الاحتياط وعذرناه بأن ذلك اجتهاد منه قد يخطىء فيه وقد يصيب • • وقد يكون رأى منه ما لم ير غيره — وقال أيضا : هو الامام فى الحديث بلا مدافعة • ونقل أبو الحسن محمد بن مظفر الحافظ ثناء المشايخ بمصر عليه وشهادتهم له

بالتقدم والامامة والاجتهاد فى العبادة . . وكان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن غير النسائى وقال : رضيت به حجة بينى وبين الله ، وقال منصور الفقيه وأحمد بن محمد ابن سلامة الطحاوى : أبو عبد الرحمن النسائى أمام من أئمة المسلمين .

وقال ابن يونس : كان النسائى اماما فى الحديث ثقة ثبتا حافظا — وسأل ابن طاهر سعد بن على الزنجانى عن رجل فوثقه فقال له : قد ضعفه النسائى : فقال : يا بنى ان لأبى عبد الرحمن شرطا فى الرجال أشد من شرط البخارى ومسلم أ هـ . ولعله لم يستعمل هذا المنهج فى تأليفه للسنن وأنه كان يظهر من معرفته الوثيقة بالرجال خاصة لتلاميذه ، ما جعلهم يحكمون له بذلك .

وليس أدل على تحريه ودقته من تركه أحاديث ابن لهيعة حتى قال أحمد بن نصر الحافظ : من يصبر على ما يصبر عليه النسائى كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة يعنى عن قتيبة عنه فما صنفها — قال ابن حجر : لم يحدث به لا فى السنن ولا فى غيرها .

وكان يتحرى فى الالفاظ الى جانب تحريه فى الرجال فلا يتساهل فى وضع «حدثنا» مكان «أخبرنا» ونحو ذلك وليس أدل على ذلك من طريقة روايته عن الحارث بن مسكين ، وذلك أن الحارث كان يتولى القضاء بمصر وكان بينه وبين أبى عبد الرحمن

« النسائى » شيء لم يمكنه من حضور مجلسه فكان يستتر فى موضع ويسمع حيث لا يراه ، فلذلك تسورع وتحرى ولم يقل « حدثنا أو أخبرنا » ولكن قال « الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع » وهذا فوق ما فيه من دلالة على دقة أمانته وكمال تحريه فيه مزيد تواضعه وكمال حرصه على العلم وتقديم المصلحة العامة على كل ما سواها من الأمور .

وكان الى جانب ما ذكرناه فقيها ظاهر الاجتهاد حتى لقد قال الدارقطنى فيه « وكان أفقه مشايخ عصره فى مصر وأعلمهم بالحديث والرجال » وقال الحاكم أبو عبد الله : أما كلام أبى عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر ومن نظر فى كتابه « السنن » تحير فى حسن كلامه .

وقد كان له انتقاء للتراجم وانتقاء لمختاراته من الأحاديث تدل علىّ وعى عميق وخبرة تامة فى الحديث رواية ودراية ومتانة فى النقد الداخلى « نقد المتن » والخارجى « نقد السند » وفهم واع بما يدل عليه الحديث .

وذكر ابن الأثير أنه كان شافعى المذهب وله مناسك ألفها على مذهب الامام الشافعى ومن المعروف أن الانتساب الى مذهب معين لا يحرم المجتهد من فضيلة الاجتهاد انما يحدد مجال اجتهاده فى اطار اجتهاد امامه . .

آثـــاره :

وترك النسائى آثارا خالدة وذكريات عطرة فى ميدان البحث والفكر وفى ميدان العمل والاجتهاد ومن أشهر مؤلفاتـــه :

١ ــ السنن الـــكبرى
٢ ــ السنن الصغرى « المجتبى » .
٣ ــ الخصائص
٤ ــ فضائل الصحابـــة
٥ ــ المناســـك .

ســـنن النســـائى :

ألف النسائى كتابين فى السنن أحدهما الـــكبرى والآخـــر الصغرى قال السيوطى : سنن النسائى الذى هو أحد الـــكتب الستة أو الخمسة هى الصغرى دون الكبرى صرح بذلك التاج ابن السبكى وقال : هى التى يخرجون عليهـــا الأطراف والرجال . .

ورأيت بخط الحافظ أبى الفضل العراقى : ان النسائى لما صنف الكبرى « أى سننه » أهداها لأمير الرملة فقال له : كل ما فيهـــا صحيح ؟ قال : لا ــ فقال : ميز لى الصحيح من غيره فصنف له الصغرى أ هـ .

وقد سمـــاها « المجتبى من السنن » ورتبـــه على الأبواب الفقهية كبقية كتب السنن واذا نسب الى النسائى حديث فانما يعنون روايته فى السنن الصغرى المسماة بالمجتبى وهو أقل السنن

بعد الصحيحين ضعيفا فهو مقـــدم على سنن أبى داود وسنن الترمذى لأن النسائى يمتاز عنهما بشدة تحريه فى الرجال حتى قيل : انه كان أحفظ من مسلم بن الحجاج • قال أحمد بن محبوب الرملى : سمعت أبا عبد الرحمن بن شعيب النسائى يقول :لمـــا عزمت على جمع كتاب السنن استخرت الله تعالى فى الرواية عن شيوخ كان فى القلب منهم بعض الشىء فوقعت الخيرة على تركهم فنزلت فى جملة من الحديث كنت أعلو فيه عنهم أ هـ • وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة مع أن أحمد قد أكثر من الرواية عنه وكان قاضى مصر ومن كبار حفاظها الا أنه اختلط فى آخر عمره • وهذا التحوط البالغ انما سار عليه فىتأليف أو استخراج سننـــه الصغرى من سننه الكبرى • ولذا كان كتابه بهذه الدرجة • ولقد بلغ التحرى بالنسائى أن تحرج من التخريج عن رجال أخرج لهم الشيخان •

قال ابن حجـــر :

كم من رجل أخرج له أبو داود والترمـــذى تجنب النسائى اخراج حديثه بل تجنب النسائى اخراج حديث جماعة من رجال الصحيحين » وقال الحافظ أحمد بن نصر شيخ الدارقطنى :

« من يصبر على ما يصبر عليه النسائى ، كان عنده حديث ابن لهيعـــة ترجمـــة فما حـــدث عنه شىء » وبين ذلك ابن حجـــر فقال « وكان عنده عاليا عن قتيبة عنه ولم يحدث به لا فى السنن

ولا فى غيرها » وفى هذا ما يدل على أن سننه الكبرى أيضا لاتخلو من تحر ودقة ولكن سننه الصغرى كانت غاية فى هاتين الناحيتين.

وروى محمد بن معاوية الأحمر عن النسائى قال : كتاب السنن كله صحيح وبعضه معلول ألا أنه لم يبين علته والمنتخب المسمى بالمجتبى صحيح كله .

وقد ذكر ابن الصلاح فى مقدمته عن ابن منده أنه سمع محمد ابن سعد الباوردى يقول : « كان من مذهب أبى عبد الرحمن النسائى أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه » ثم قال : فمراده — والله أعلم — صنيعه فى السنن الكبرى . واذا نسب الى النسائى حديث فانما يعنون روايته فى السنن الصغرى وهى المجتبى الا ما كان من صنيع بعض المؤلفين فى الحديث كما نبه على ذلك صاحب « عون المعبود فى آخر أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشرة أحاديث موضوعة فقد نازعه فى مختصره وقول المزى فى الأطراف : الحديث أخرجه النسائى . فالمراد به السنن الكبرى للنسائى وليس المراد السنن الصغرى الذى هو مروج الآن فى أقطار الأرض » . ثم قال : فالحديث الذى قال فيه المنذرى والمزى أخرجه النسائى وما وجدته فى السنن الصغرى فاعلم أنه فى الكبرى ولا تتحير لعدم وجدانه فان كل حديث فى الصغرى موجود فى الكبرى ولا عكس ويقول المزى فى كثير من المواضع أخرجه النسائى فى التفسير وليس فى

الصغرى تفسير . أ هـ . وفعل مثل ذلك السيوطى فى جامعه وغيره ممن فهرسوا كتب الحديث وجمعوه . والواقع أن سنن النسائى الصغرى فى منتهى الدقة ولا يكاد يوجد فيها موضوع وان قال أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشر أحاديث موضوعة فقد نازعه فى ذلك السيوطى فى كتابه «التعقبات على الموضوعات» وعلى فرض التسليم بذلك فهذا عدد قليل جدا بالنسبة الى كتاب كالكتاب السنن . . وقد اختلف الناس فى صحة كل ما فيه .

فقال الدارقطنى وابن منده وابن السكن وأبو على النيسابورى وأبو أحمد بن عدى : كل ما فى السنن صحيح ووافقوا فى ذلك النسائى وقال غيرهم بغير ذلك — كابن كثير فى كتابه « الباعث الحثيث » حيث قال : « وقول الحافظ أبى على بن السكن وكذا الخطيب البغدادى فى كتاب السنن للنسائى : أنه صحيح فيه نظر . . . وكذ االقول بأن له شرطا فى الرجال أشد من شرط مسلم غير مسلم (مقبول) فان فيه رجالا مجهولين اما عينا أو حالا وفيهم المجروح . . وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة . ولعل المراد من الكل فى قول العلماء وقول النسائى كل ما فيها صحيح « معظمها » أو لعل ابن كثير يتحدث عن السنن الكبرى للنسائى — وعلى كل فهذا الخلاف مرجعه الى اختلاف الأنظار فى الجرح والتعديل والاختلاف فى شروط التصحيح والتحسين والتضعيف قوة وليونة .

— ٨ —

الامـام : ابن ماجـه

الامـام : أبو عبد اللـه محمد بن يزيد بن ماجه الـربعى القزوينى •

ولد سنة تسع ومائتين من الهجـرة •

وكشأن أئمة الحديث فى ذلك العصر توجه بهمته الى مجالس العلم وأقبل على حلقاته يحصل ما يجد أمامه،ويلتهم كل ما يقدمه العلماء حتى اذا ما أنس فى نفسه قوة على الرحيل هاجر فى سبيل العلم الى كثير من الأقطار وعديد من البلاد فارتحل الى العراق والحجاز والشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها من الأمصـار والأقطار وتعرف على مدارس الحديث المختلفة ، واستفاد من كل المناهج والنماذج حتى صار من أئمة الحديث المعدودين • وقـد أتاحت له هذه الهمة العالية والعزيمة السامية أن يلتقى بعدد من الشيوخ فى كل قطر وفى كل بـلد رحل اليه ، فسمـع من شيوخ البلاد كأبى بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وجبارة ابن المفلس وهشام بن عمار ومحمد بن رمح وداود بن رشيـد وعلقمة بن عمرو الدارمى وأزهر بن مروان ومحمد بن بشار وعمرو ابن عثمان بن سعيد وغيرهم من كبار الأئمة والعلماء • وصح فيه قول أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى القزوينى : ابن ماجـه ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة وحفظ • ثم قال : كان عالما

بهذا الشأن صاحب تصانيف منها التاريخ والسنن وارتحل الى العراقين والشام ومصر ، وصفه الامام الذهبى بأنه : الحافظ الكبير المفسر صاحب السنن والتفسير ومحدث تلك الديار ومدحه الحافظ ابن كثير .

وقد ذكرنا مؤلفاته فى ثنايا التقديم لشخصيته وهى :

١ ــ كتاب السنن المتداول الآن .

٢ ــ تفسير حافل للقرآن الكريم كما قال ابن كثير .

٣ ــ تاريخ ممتاز أرخ فيه من عصر الصحابة الى عصره ولم يبق من هذه الآثار القيمة الا كتاب السنن .

ولم يقتصر النشاط العلمى لابن ماجه على التأليف بل تعداه الى الدرس والتعليم فدرس وأسمع وربى وهذب . ومن أشهر من روى عنه ابن سيبوية ومحمد بن عيسى الصفار واسحاق بن محمد وعلى بن ابراهيم بن سلمة القطان وأحمد بن ابراهيم وسليمان بن يزيد القزوينى وأحمد بن روح البغدادى وغيرهم من مشاهير الرواة .

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل اختاره الله الى جواره فى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وصلى عليه أخوه أبو بكر وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبو عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد . رحمه الله على ما بذل فى سبيل البحث والتعليم .

سنن ابن ماجـــه :

من الكتب المشهورة والهامة فى مجال الحديث النبوى هـــذا الكتاب القيم « سنن بن ماجه » وقد عده الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسى المتوفى سنة (٥٠٧) من الكتب الستة التى هى أصول كتب الحديث • وقبل ابن طاهر هذا كان المتقدمون من المحدثين على عـــد أصول كتب الحديث خمسة فقـــط : الصحيحين وسنن النسائى وسنن أبى داود وجامع الترمذى، ووافقهم على ذلك كثير من محققى المتأخرين • والسبب فى عدم اختيارهم سنن ابن ماجه أنه قد تفرد فيه باخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا تعرف الا من جهتهم •

أمـــا سبب اختيار ابن طاهـــر ومن وافقه عده من الـــكتب الأصول فى الحديث ما فيه من عظيم النفع وجمال الترتيب وسعة الجمع وحسن الانتقاء •

تقييم السنن :

لم يخلص سنن ابن ماجه ـــ كغيره من السنن للصحيـــح أو المقبول • لقد اشتمل على الصحيـــح والحسن والضعيف ، بـــل والمنـــكر والموضوع على قلة • وهى أقل درجة من كتب السنن الأخرى لكثرة الضعف فيها حتى قال المزى : « ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة ضعيف »ولكن الحافظ ابن حجر تعقب هذا القول وقال: «انه ـــ أى ابن ماجه ـــ انفرد بأحاديث كثيرة

وهى صحيحة فالأولى حمل الضعيف على الرجـال » أ هـ . ولا يلزم من ضعف رجال السند أن يـكون المتن (لفـظ الحديث) ضعيفا . . لاحتمال ثبوته من طريق أخرى بسند صحيح ورجال ثقـات .

وقا ل الذهبى : سنن ابن ماجه كتاب حسن لولا ماكدره من ذكر أحاديث واهية ليست بالكثيرة . وقـال فى موضع آخـر : « وانما غض من رتبة سننه ـ أى ابن ماجه ـ ما فى الكتاب من المناكير وقليل من الموضوعات » .

وقد انتقد ابن الجوزى بعض أحاديث فى سنن ابن ماجـه وعدها من الموضوعات وعدتها كما ذكر السـيوطى فى تعقيباته ثلاثـون حـديثا وقد نازع السـيوطى فى « التعقيبـات » فى هذا الحكم والحق أن ابن الجوزى ينبغى أن يسلم له الحكم على أكثر هـذه الأحاديث بالوضع (ولعلها هى التى انتقدهـا أبو زرعة)وبعض الأحاديث التى انتقدها مما أجمع الحفاظ على وضعها غلطا مثل حديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهـه بالنهار» قال الحاكم: دخل ثابت بن موسى على شريك بن عبد الله القاضى والمستملى بين يديه وشريك يقـول : حدثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولم يذكر المتن ـ فلما نظر شريك الى ثابت بن موسى قـال : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجه بالنهار » وأراد مدح ثابت

بذلك لورعه وزهده . فظن ثابت أن هذا مما يرويه شريك بهذا الاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يحدث به عن شريك بهذا الاسناد . ولقد سرقه منه جماعة ضعفاء وحدثوا به عنه . . وقد روى ابن ماجه هذا الحديث فى سننه عن اسماعيل ابن محمد الطلحى عن ثابت بن موسى الزاهد عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر مرفوعا . فالوضع ليس متعمدا ولكنه نتيجة سوء فهم أو ضعف تقدير ومع ذلك فقد استطاع خبراء الحديث استخراج الوضع ومعرفة سببه مما يدل على مدى دقتهم وحسمهم فى الحكم على الحديث .

وقد اشتملت سنن ابن ماجه على أحاديث عالية (قليلة الرجال) حتى صار بين ابن ماجه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فيها ثلاثة رجال وهى ما تعرف بالثلاثيات قال الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى وقد وفقه الله لطبع سنن ابن ماجه طبعا متقنا وعدها عدا حاسما وتخريجها تخريجا مناسبا مختصرا .

جملة أحاديثها ٤٣٤١ واحد وأربعون وثلثمائة وأربعة آلاف حديث منها ٣٠٠٢ اثنان وثلاثة آلاف حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة أو بعضهم وباقيها ١٣٣٩ تسعة وثلاثون وثلثمائة وألف هي روائد ابن ماجه على ما جاء فى الكتب الستة انفرد بها عنهم (وقد سبق أن ذلك من أسباب اختياره للمرتبة السادسة) وهذه الزوائد ، منها :

٤٢٨ ثمانية وعشرون وأربعمائة حديث رجالها ثقات وهـى صحيحة الاسناد .

١٩٩ تسعة وتسعون ومائة حديث حسنة الاسناد .

٦١٣ ثلاثة عشر وستمائة حديث ضعيفة الاسنـاد .

٩٩ تسعة وتسعون حديثا واهيـة الاسناد .

وعدد كتب « السنن » سبعة وثلاثون كتابا عدا المقدمة وعدد أبوابه خمسة عشر وخمسمائة وألف باب .

ومن هذا يتبين لنا أن سنن ابن ماجه كتاب قيم جدير بمـا حكم له ابن طاهر وان نسبة الضعف أو السقوط فيه قليلة وأنـه من دواوين السنة القيمـة .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
حديث شريف	٣
مقدمة مكانة الحديث فى التشريع الاسلامى	٥
تدوين الحديث الشريف	١٠
السنة والحديث ــ والخبر والأثر	٢١
ألقـــاب المحدثين	٢٥
منـاهج المحـدثين	٢٩
الرحلة فى طلب العـــلم	٤٧
أولا : أئمة الحديث النبوى من الصحابة	٥١
الصحابة المكثرون لرواية الحديث	٥٢
أبو هـــريرة	٥٦
عبد الله بن عمر بن الخطـاب	٥٨
أنس بن مـالك	٦٤
ابن عمر راويا وفقيهـا	٦١
عائشـة أم المؤمنين	٦٧
عبد الله بن عبـاس	٧٣
جابر بن عبد الله الأنصارى	٧٩
أبو سعيد الخدرى	٨٤

الموضوع	الصفحة
ثانيا : أئمة الحديث النبوى من العلماء والتابعين وتابعيهم	٨٩
(١) الامـــام مالك	٩٠
(٢) الامـــام أحمـــد	٩٩
(٣) الامـــام البخـــارى	١٠٨
(٤) الامـــام مســـلم	١١٩
(٥) الامـــام أبو داود	١٢٧
(٦) الامـــام الترمـــذى	١٣٨
(٧) الامـــام النسائى	١٤٦
(٨) الامـــام ابن ماجـــه	١٥٥